

عبد الله أبو لوز | * Abdallah Abolouz

صراع التكيف: حالة مواليد السعودية الفلسطينية من جيل الألفية العائدين إلى الأردن

Struggling to Fit: The Case of Saudi Born Millennials from Palestinian-origin Returnees to Jordan

ملخص: تبحث الدراسة في واحدة من السياسات التي اعتمدها الحكومة السعودية منذ تموز/ يوليو 2017، والمتمثلة في فرض حزمة ضرائب جديدة على مرافقي العمالة الوافدة، وأثرها في الجالية الفلسطينية المقيمة في المملكة العربية السعودية، ولا سيما الفلسطينيين من جيل الألفية المولودين في السعودية، والذين ينتمون إلى الجيلين الثاني والثالث من الأسر الفلسطينية المهاجرة للعمل. وباستخدام الإثنوغرافيا الذاتية منهجًا للبحث، تعرض الدراسة التجارب الشخصية التي دفعت بهذا الجيل إلى العودة القسرية إلى الأردن بعد فرض تلك الضرائب. إضافة إلى ذلك، تستكشف مراحل التكيف النفسي ونتائجه، في محاولة لتبيين الكيفية التي جرت بها هذه التحولات على هوية هذا الجيل الثقافية قبل انتقاله إلى الأردن وبعده. وتعتمد في هذا إطارًا نظريًا جديدًا يتصور عمليات التكيف بوصفها مراحل حياتية متداخلة، تشكل فيها الهوية الثقافية مرآة تعكس الطبيعة المتطورة لهذه التغييرات، وتتبين ملامحها مع مرور الوقت، ما ينتج في الأخير هوية تتسم بالتعدد وتعدد الطبقات. وتبرز الدراسة التأثيرات النفسية والثقافية الهائلة لتلك السياسات/ الضريبة في حالة الدراسة من فلسطيني جيل الألفية المنتقلين إلى الأردن، وتبين الآثار اللاحقة في مشاعرهم بالانتماء بعد مغادرتهم السعودية.

كلمات مفتاحية: ضرائب/ رسوم المرافقين، الثقافة، سياسات السَّعودة، النزوح القسري، الفلسطينيون في السعودية، الفلسطينيون في الأردن.

Abstract: The study investigates a policy that has been implemented by the Saudi government since July 2017, which introduced a new tax package for dependents of expatriate workers, focusing on its impact on the Palestinian community in Saudi Arabia, particularly Palestinian millennials. These individuals are part of the second and third generations of Palestinian families who migrated for work in Saudi Arabia. Utilizing autoethnography as a research method, the study narrates the personal experiences that prompted the forced return of this generation to Jordan following the tax imposition. It further examines their psychological acculturation phases and its effects, aiming to illustrate the transformations in their cultural identity before and after relocating to Jordan. The study introduces a novel theoretical framework that conceptualizes acculturation processes as interconnected life stages, with cultural identity acting as a mirror reflecting these changes. The nuances of this identity, characterized by complexity and multi-layers, become apparent over time. This study underscores the profound psychological and cultural repercussions of the tax policy on Palestinian millennials, emphasizing the impact on their sense of belonging after departing from Saudi Arabia.

Keywords: Expat Dependent Levy Tax, Acculturation, Saudization Policy, Forced Displacement, Palestinians in Saudi Arabia, Palestinians in Jordan.

* باحث في التاريخ الاجتماعي السياسي وتشكل الهويات الثقافية. حاصل على الماجستير في الأنثروبولوجيا الاجتماعية من جامعة اليرموك في الأردن.

A researcher in socio-political history and the formation of cultural identities. He holds a Master's degree in Social Anthropology from Yarmouk University in Jordan.

email: abdullahsami10@gmail.com

أولاً: مقدمة

تبحث الدراسة في أثر فرض المملكة العربية السعودية "ضريبة" ⁽¹⁾ على مرافقي العاملين الوافدين " (ضريبة المرافقين)، التي تم تطبيقها في تموز/ يوليو 2017، لا سيما على الجيلين الثاني والثالث من الفلسطينيين مواليد السعودية المنتميين إلى جيل الألفية، وتبحث في سبل الثقافة Acculturation لدى المهاجرين متعددي النزوح، والآثار الطويلة الأمد للشئات. وتتبع الدراسة سياقات إصدار القرار، وترصد آثاره الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن تأثيره في الهوية الثقافية لمجتمع جيل الألفية.

ترصد دراسات عديدة بدايات الهجرة الفلسطينية إلى السعودية منذ العامين الفارقين في التاريخ الفلسطيني، 1948 و1967، وتزامن تلك الهجرة مع الطفرة النفطية التي عرفتها بلدان الخليج. فقد ساهم المهاجرون الفلسطينيون كثيراً في تنمية السعودية وتطورها في مختلف القطاعات، مستفيدين من معاملة تفضيلية أولتها المملكة لهم في التوظيف، إذ حلوا في المرتبة الثانية بعد المواطنين السعوديين ⁽²⁾. وكان الدافع وراء هذا التفضيل هو تناسب تعليمهم المرتفع نسبياً مع الاحتياجات التنموية للبلاد ⁽³⁾.

أدى إدخال التعديل الضريبي على مرافقي العاملين الوافدين، والتغييرات السياسية الأخرى، إلى أعباء مالية على المقيمين الأجانب (غير السعوديين)، ما دفع بالعديد من الفلسطينيين، بمن فيهم الجيلان الثاني والثالث، إلى الانتقال، في الغالب، إلى الأردن وتركيا ⁽⁴⁾. وفي هذا الصدد، تتناول الدراسة بالنقاش أوضاع شريحتين من الفلسطينيين ممن يحملون جوازات أردنية، وتبين أنه لا توجد اختلافات كبيرة في هويتها الثقافية ومجتمع الدراسة الأكبر من مواليد السعودية من أصل فلسطيني. وهاتان الشريحتان هما: 1. الأردنيون من أصل فلسطيني، حاملو الجنسية الأردنية الكاملة ممن يحملون الأرقام الوطنية ⁽⁵⁾، ويتمتعون بامتيازات حكومية، بما في ذلك الأولوية في التوظيف، والتعليم العالي المدعوم، وحقوق الملكية الكاملة (تتاح لمن حصلوا على إقامة دائمة في الأردن بين عامي 1948 و1967)، 2. الفلسطينيين من غزة والضفة الغربية، الذين يحملون

1 تُعرف إعلامياً برسوم المرافقين.

2 Pamela Ann Smith, "The Palestinian Diaspora, 1948-1985," *Journal of Palestine Studies*, vol. 15, no. 3 (Spring 1986), pp. 90-108; Abdulhadi Khalaf, Omar AlShehabi & Adam Hanieh (eds.), *Transit States: Labour, Migration and Citizenship in the Gulf* (London: Pluto Press, 2015); Taher Labadi, "The Palestinian Diaspora and the State-Building Process," *Research*, Arab Reform Initiative, 5/12/2018, accessed on 29/4/2024, at: <https://shorturl.at/hlvEM>

3 Are Hovdenak, "On the Gulf Road: Palestinian Adaptations to Labour Migration," in: Are Hovdenak et al., *Constructing Order: Palestinian Adaptations to Refugee Life* (Oslo: FAFO Institute for Applied Social Science, 1997); Madawi Al-Rasheed, *A History of Saudi Arabia*, 2nd ed (Cambridge: Cambridge University Press, 2010); John Chalcraft, "Monarchy, Migration and Hegemony in the Arabian Peninsula," *LSE Global Governance*, no. 12, Kuwait Programme on Development, Governance and Globalisation in the Gulf States, London School of Economics and Political Science (October 2010), p. 43; Thomas Hegghammer, "The Rise of Muslim Foreign Fighters: Islam and the Globalization of Jihad," *International Security*, vol. 35, no. 3 (Winter 2010), pp. 53-94; Stéphane Lacroix, *Awakening Islam: The Politics of Religious Dissent in Contemporary Saudi Arabia*, George Holoch (trans.) (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2011).

4 بالنسبة إلى أولئك الذين يتمتعون بإمكانات مالية أكبر، مثلت الولايات المتحدة الأمريكية وكندا خيارات أفضل للانتقال.

5 الرقم الوطني في الأردن عبارة عن رمز رقمي يتكون من عشر خانات يُمنح لكل مواطن يحمل الجنسية الأردنية، بحيث يتميز به المواطن الأردني ممن سواه، فلا يحق للفلسطينيين من حملة الوثائق الأردنية المؤقتة أن يحصلوا على هذا الرقم. وبذلك يصبح هذا الرقم معزفاً للجنسية الأردنية، ويكون سحبه أو إزالته من الجواز الأردني كأنه سحب للجنسية الأردنية من حاملها.

جوازات سفر أردنية مؤقتة من دون أرقام وطنية، ويحصلون على حقوق محدودة، مع احتمالات دائمة بخسارة الجنسية⁽⁶⁾.

تستخدم الدراسة منهجية مزدوجة تعتمد على الإثنوغرافيا الذاتية، وإجراء مقابلات وفق أسلوب "كرة الثلج"، بهدف الاستفادة من تجربة الباحث الشخصية، وتعزيز وجهة نتائج البحث. وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأسماء المستخدمة في الدراسة أسماء مستعارة⁽⁷⁾. وكون الباحث رجلاً فلسطينياً، عمره ثلاثة وثلاثون عاماً، وُلد ونشأ في السعودية، وأنتم تعليمه العالي في الأردن، فإن تجربته تعرض زاوية نظر من قلب الحالة، تعبّر عن المجتمعات والثقافات الثلاث: الفلسطينية والأردنية والسعودية⁽⁸⁾. وتجسد وجهة النظر الفريدة هذه دوراً حاسماً في تأطير الدراسة، وتشكيل تحليلاتها ونتائجها واستنتاجاتها، بما يتماشى مع الإطار النظري المعمول به⁽⁹⁾.

تعتمد الدراسة مقولات نظرية جون بيري⁽¹⁰⁾ الرباعية للمثاقفة Fourfold Acculturation، من أجل فهم التحولات الحياتية لجيل الألفية، مع التركيز على عملية التثاقف النفسي المتداخلة مع الهجرة وتشكل الهوية الثقافية. فالتثاقف يحدث من خلال التفاعلات مع مجموعة جديدة، بما يؤدي إلى تغييرات ثقافية، وتحول في الهوية الثقافية⁽¹¹⁾. وتعتبر الدراسة استراتيجيات المثاقفة الأربع: الاندماج Integration والتهميش Marginalization والاندماج Assimilation والانعزال Separation/ Segregation مراحل في حياة الفرد، تتأثر بعوامل متعددة؛ على سبيل المثال، لا الحصر، التغيرات في سياسات المجتمع المضيف. وتُعتبر عملية التثاقف، في حد ذاتها، تكييفاً ثنائي الأبعاد، يتضمن خليطاً من الحفاظ على ثقافة الفرد الأصلية وثقافة المجتمع المضيف أو رفضها⁽¹²⁾، فيصبح التكييف مخرجاً لعملية التثاقف، بحيث يتأثر بالاستراتيجيات التي يعتمد عليها الأفراد خلال عملية التثاقف⁽¹³⁾.

6 Oroub El-Abed, "Palestinian Refugees in Jordan," in: *FMO Research Guide: Palestinian Refugees in Jordan* (Oxford: University of Oxford, 2004); Oroub El-Abed, "Palestinian Refugees of Egypt: What Exit Options are Left for Them?" *Refuge: Canada's Journal on Refugees*, vol. 22, no 2 (2005), pp. 15-30.

7 ينظر إلى الملحق (1) للاطلاع على التفاصيل الخاصة بالمستجيبين الذين جرت مقابلتهم أثناء إجراء هذه الدراسة.

8 قد يتحفظ البعض على التقسيمات الحادة لهذه الثقافات الثلاث نظراً إلى المشتركات اللغوية والدينية التي تجمع بينها، وعلى الرغم من وجهة هذا التحفظ، فإن هذه المشتركات لا تنفي وجود خصائص تميز بها كل ثقافة من الأخرى، وسأشير إلى بعض هذه المحددات والخصائص في ثنايا هذه الدراسة. وأريد أيضاً الإشارة إلى أن مسألة وضوح المشتركات يقابلها وضوح في الاختلافات أيضاً، ومنها أن هوية الثقافة الفلسطينية ترتبط عضوياً باحتلال أرض هذا الشعب، وحرمانه من حق العودة إليها، كما ترتبط هوية الثقافة السعودية بخصوصيات السياق الخليجي، وكذلك الحال فيما يخص الهوية الثقافية الأردنية، التي يشار باستمرار إلى ارتباطها العضوي بالداوة، باعتبارها مرجعاً نهائياً لها. للمزيد ينظر

Rashid Khalidi, *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness* (New York: Columbia University Press, 1997); Joseph A. Massad, *Colonial Effects: The Making of National Identity in Jordan* (New York: Columbia University Press, 2001); Al-Rasheed.

9 Bogusia Temple & Alys Young, "Qualitative Research and Translation Dilemmas," *Qualitative Research*, vol. 4, no. 2 (August 2004), pp. 161-178; Margaret U. D'Silva et al., "Reflexivity and Positionality in Researching African-American Communities: Lessons from the Field," *Intercultural Communication Studies*, vol. 25, no. 1 (2016).

10 John W. Berry, "Immigration, Acculturation, and Adaptation," *Applied Psychology*, vol. 46, no. 1 (January 1997), pp. 5-34.

11 Sunil Bhatia & Anjali Ram, "Rethinking 'Acculturation' in Relation to Diasporic Cultures and Postcolonial Identities," *Human Development*, vol. 44, no. 1 (2001), pp. 1-18; Seth J. Schwartz, Marilyn J. Montgomery & Ervin Briones, "The Role of Identity in Acculturation Among Immigrant People: Theoretical Propositions, Empirical Questions, and Applied Recommendations," *Human Development*, vol. 49, no. 1 (2006), pp. 1-30.

12 Berry, pp. 5-34.

13 Jean S. Phinney et al., "Ethnic Identity, Immigration, and Wellbeing: An Interactional Perspective," *Journal of Social Issues*, vol. 57, no. 3 (Fall 2001), pp. 493-510; John W. Berry, "Acculturation and Adaptation: A General framework," in: Wayne H. Holtzman & Thomas H. Bornemann (eds.), *Mental Health of Immigrants and Refugees* (Austin, TX: Hogg Foundation for Mental Health, University of Texas, 1990), pp. 90-102; Berry, "Immigration," pp. 5-34.

وانطلاقاً من تجربة الباحث الشخصية، بوصفه أحد مواليد السعودية الفلسطينية من جيل الألفية، فإنه يستكشف مراحل التثاقف النفسي التي مر بها هذا الجيل قبل مغادرة السعودية حتى عودته إلى الأردن. ويبيّن طبيعة تمثيل الثقافة السعودية في هوية هذا الجيل، وتأثيرها بعد الانتقال، وكيفية تأثر شعورهم بالانتماء، أو عدم الانتماء، بسبب النزوح القسري Forced Displacement⁽¹⁴⁾، نظرًا إلى الطبيعة غير الطوعية لرحيلهم وسط قيود مالية جديدة فرضت في البلاد.

تقوم الدراسة على افتراض أساسي متمثل في أن تجربة الشتات التي يمر بها الفلسطينيون في السعودية فريدة من نوعها، من حيث مرورهم بنزوحين مختلفين. وينظر الكثيرون منهم إلى البلدان المضيفة على أنها بيئات انتقالية، وليست وجهات نهائية. وإضافة إلى ذلك، تقترح إطارًا نظريًا جديدًا، يربط بين عمليات التثاقف، باعتبارها مراحل متداخلة من حياة الفرد. ويسعى هذا الإطار إلى دراسة كيفية تأثير التغييرات في السياسات المضيفة في وسائل التثاقف المختارة داخل المجتمع الفلسطيني. وتستخدم لذلك الهوية الثقافية أداة لفهم كيفية ظهور هذه التغييرات في التثاقف مع مرور الوقت، على نحو يساهم في تشكيل هوية متعددة الطبقات.

ثانيًا: مراجعة الأدبيات

يشير مصطلح "الشتات" Diaspora إلى نزوح مجموعة معينة من وطنها إلى مناطق مختلفة من العالم، عادة بسبب النزوح القسري. وتُرمز هذه التجربة مجتمعات الشتات على التواصل والانخراط مع مجتمعاتها المضيفة الجديدة. وفي حالة الفلسطينيين، تطلبت منهم تجاربهم المتنوعة في الشتات، والتي اتسمت بعمليات تهجير ونزوح متعددة، أن ينخرطوا ويتفاعلوا، أو أن يتثاقفوا مع مجتمعات مختلفة خلال كل عملية نزوح. وفي حين تساهم أعمال مختلفة في فهمنا للشتات الفلسطيني⁽¹⁵⁾، فإن الغالبية من هذه الأعمال تركز على الدول العربية المجاورة لفلسطين، تاركة فجوة كبيرة في الأدبيات المتعلقة بتجربة الشتات الفلسطيني في الخليج.

في سياق الدول العربية المجاورة، استكشفت دراسات عديدة، على نحو مباشر أو غير مباشر، جوانب مختلفة من التثاقف الفلسطيني في الشتات، وبحثت في سياسات الدول المضيفة، مثل الأوضاع القانونية للفلسطينيين،

14 تنبغي الإشارة هنا إلى أن الطبيعة الإكراهية غير المباشرة Indirect Coercion لا تنفي قسرية الظاهرة في خيار نزوح فلسطيني السعودية إلى الأردن، فعامل الإكراه هنا قسري، على الرغم من كونه غير مباشر. ولذلك يعتبر الإكراه، سواء المباشر أو غير المباشر، أحد محددات قسرية النزوح، فلم يختر كثير من الفلسطينيين، وتحديداً ممن أجريت معهم المقابلات، مغادرة البلاد طواعية، بل تعرضوا لسياسات بنوية عنيفة Structural Violent أجبرتهم على الاختيار الصعب بالمغادرة. ينظر:

Ali Ali, "Conceptualizing Displacement: The Importance of Coercion," *Journal of Ethnic and Migration Studies*, vol. 49, no. 5 (2023), pp. 1083-1102.

أريد أيضاً الإشارة إلى أن العديد من أدبيات دراسات الهجرة تعتبر الفصل الحدي بين مفهومي الهجرة القسرية والطوعية شديد الغموض، وأن المفهومين شديداً الالتصاق ببعضهما البعض، ويشوبهما شيء من الاتصال الذي يجعل عملية الفصل بينهما صعبة. للمزيد حول هذه القضية، ينظر Marta Bivand Erdal & Ceri Oeppen, "Forced to Leave? The Discursive and Analytical Significance of Describing Migration as Forced and Voluntary," in: Francis L. Collins & Jørgen Carling, *Aspiration, Desire and the Drivers of Migration* (New York: Routledge, 2020), pp. 73-90.

15 Khalidi; Juliane Hammer, *Palestinians Born in Exile: Diaspora and the Search for a Homeland* (Austin, TX: University of Texas Press, 2005); Edward W. Said, *Reflections on Exile and Other Essays* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2000).

واستجابتهم لها⁽¹⁶⁾. في حين بحثت بعض الدراسات في استراتيجيات عملية التثاقف للفلسطينيين في سياق الدول المضيفة التي نزحوا إليها⁽¹⁷⁾، وثقالات الهوية وسياسات تشكلها، بما في ذلك الهوية الوطنية وتأثير اللجوء في النسيج الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني⁽¹⁸⁾.

يشغل مفهوم الهوية مكانة مركزية في دراسات الشتات الفلسطيني الممتد في جميع أنحاء العالم، إذ يعمل المفهوم بوصفه مؤشراً مهماً على طرائق اندماج الأفراد مع المجتمع المضيف، بما في ذلك أساليب حفاظهم على ولائهم لجذورهم⁽¹⁹⁾. وقد أظهرت بعض الدراسات علامات الاندماج العابرة للحدود الوطنية في تشكيل الهوية العالمية والحفاظ على الاتصال بالوطن عبر الأجيال⁽²⁰⁾، في حين اهتمت دراسات أخرى بدور النزوح المتعدد وانعدام الجنسية في تشكيل الهوية⁽²¹⁾. وإضافة إلى ذلك، بحثت دراسات أخرى في العلاقة بين القومية العابرة للحدود الوطنية وانصهار الفلسطينيين في مجتمعاتهم المضيفة⁽²²⁾.

مثلت دراسة شفيق الغبرا الرائدة⁽²³⁾ عن الشتات الفلسطيني في الكويت واحدة من أولى الدراسات من هذا النوع، فقد اختصت بحالة عربية من غير الدول المجاورة لفلسطين، واستعرضت بدايات الشتات الفلسطيني في الكويت، وقدمت تحليلاً شاملاً لعملية التثاقف التي جرت ضمن تجربة الشتات الفلسطيني هناك. وأظهرت هذه المساهمة عملية تثاقف ناجحة، امتازت باندماج الفلسطينيين في المجتمع الكويتي خلال

16 Rosemary Sayigh, "Palestinians in Lebanon: Harsh Present, Uncertain Future," *Annals of Japan Association for Middle East Studies*, vol. 10, no. 1 (Autumn 1995), pp. 245-263; Julie Peteet, "From Refugees to Minority: Palestinians in Post-War Lebanon," *Middle East Report*, no. 200, Middle East Research and Information Project (July-September 1996), accessed on 29/4/2024, at: <https://shorturl.at/pU469>; Oroub El-Abed, "The Discourse of Guesthood: Forced Migrants in Jordan," in: Anita Hausermann Fabos & Riina Isotalo (eds.), *Managing Muslim Mobilities: Between Spiritual Geographies and the Global Security Regime* (New York: Palgrave Macmillan, 2014), pp. 81-100.

17 Jaber Suleiman, *Marginalised Community: The Case of Palestinian Refugees in Lebanon* (Brighton: Development Research Centre on Migration, Globalisation and Poverty, University of Sussex, 2006), p. 3; Hadeel Fawadleh, "Migrations and Diaspora: The Experience of Palestinian Christians in Jordan and the United States of America," PhD Dissertation in Geography, Université d'Angers, 2017; Yafa El Masri, "72 Years of Homemaking in Waiting Zones: Lebanon's 'Permanently Temporary' Palestinian Refugee Camps," *Frontiers in Sociology*, vol. 5 (2020).

18 Laurie A. Brand, "Palestinians and Jordanians: A Crisis of Identity," *Journal of Palestine Studies*, vol. 24, no. 4 (Summer 1995), pp. 46-61; Hillel Frisch, "Ethnicity, Territorial Integrity, and Regional Order: Palestinian Identity in Jordan and Israel," *Journal of Peace Research*, vol. 34, no. 3 (August 1997), pp. 257-269; Zeina Halabi, "Exclusion and Identity in Lebanon's Palestinian Refugee Camps: A Story of Sustained Conflict," *Environment & Urbanization*, vol. 16, no. 2 (October 2004), pp. 39-48.

19 Stephanie Anna Loddó, "Palestinian Perceptions of Home and Belonging in Britain: Negotiating between Rootedness and Mobility," *Identities*, vol. 24, no. 3 (2017), pp. 1-20; Helena Lindholm, "Emotional Identity and Pragmatic Citizenship: Being Palestinian in Sweden," *Diaspora Studies*, vol. 13, no. 2 (November 2020), pp. 133-151.

20 Esmat Zaidan, *Palestinian Diaspora in Transnational Worlds: Intergenerational Differences in Negotiating Identity, Belonging and Home*, The Forced Migration and Refugee Unit (Birzeit: The Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies, Birzeit University, 2012), accessed on 29/4/2024, at: <https://shorturl.at/exISY>

21 Elena Fiddian-Qasimiyeh, "On the Threshold of Statelessness: Palestinian Narratives of Loss and Erasure," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 39, no. 2 (2016), pp. 301-321.

22 Abed Monawar, "Cultural Assimilation among Palestinian Immigrants in New Mexico," PhD Dissertation in Anthropology, Texas Tech University, 2006; Tom Brocket, "From 'in-betweenness' to 'Positioned Belongings': Second-Generation Palestinian-Americans Negotiate the Tensions of Assimilation and Transnationalism," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 43, no. 16 (December 2020), pp. 135-154.

23 شفيق الغبرا، النكبة ونشوء الشتات الفلسطيني في الكويت (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)

خمسينيات القرن العشرين وستينياته. وفيها اعتمد الفلسطينيون على الشبكات الاجتماعية غير الرسمية، مثل العائلة والجيران والصدقات وعموم العلاقات السابقة في مدنهم قبل الشتات، من أجل إعادة تعريف هويتهم الفلسطينية وحفظها. ولم يرق هذا النسيج الاجتماعي المعقد بحماية الوجود الفلسطيني فحسب، بل أدى الشتات الفلسطيني في الكويت، كما أشارت لوري براند⁽²⁴⁾، دوراً حيوياً في تشكيل التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الكويتي.

وبعد تهجير الفلسطينيين من الكويت، خضعوا لعمليات ثقاف متنوعة، إما حين عودتهم إلى الأردن، وإما خلال هجرتهم إلى ما هو أبعد من العالم العربي. وفي هذا السياق، تسلط دراسة لي تروكير والعودات⁽²⁵⁾ الضوء على العوامل النفسية والاقتصادية التي عرقلت عملية ثقاف الفلسطينيين الكويتيين العائدين إلى الأردن، وتكشف عن شعور بالإقصاء، ومقارنتهم معايير المعيشة ومستوياتها بين الأردن والكويت. ومع ذلك، لم تؤكد الدراسة على الهوية المشتركة للفلسطينيين الذين عاشوا في الخليج. في المقابل، نجد هذا التأكيد في دراسة سيليا روتنبرغ الإثنوغرافية⁽²⁶⁾ حول الجالية الفلسطينية النازحة إلى كندا من الكويت، إذ تسلط الضوء على الهوية المشتركة للفلسطينيين في الخليج، ممن هاجروا مباشرة من الكويت ودول الخليج الأخرى، وتمييزهم من المجموعات الفلسطينية الأخرى التي هاجرت مباشرة من فلسطين والدول العربية الأخرى.

تركز الأدبيات المتعلقة بتجربة الشتات الفلسطيني على تشكّل الهوية والثقاف، واستكشاف كيفية بقاء الفلسطينيين وتفاعلهم مع سياسات المجتمع المضيف. وتشمل الموضوعات الرئيسة الاندماج والتعددية الوطنية، ما يوضح كيفية موازنة الأفراد بين ارتباطهم بالمجتمعات المضيئة وأصولهم. ومع ذلك، تكشف الأدبيات أيضاً عن ميل إلى استخدام الأدوات التحليلية والمفاهيمية التي غالباً ما تركز على نوع واحد من استراتيجيات الثقاف، مثل الانصهار أو الاندماج أو التهميش. وقد درس الباحثون التجربة الفلسطينية من خلال فحص تأثير هذه الاستراتيجيات التي اختارها الفلسطينيون في تمثيلات تجاربهم مع الهوية وتقاطعاتها، أو سياسات المضيفين، أو الوسائل المختلفة للحفاظ على الشعور بالانتماء والتواصل والوطن. وعلى الرغم من هذه الدراسات المتعددة، التي غطت نطاقاً واسعاً من تجارب الشتات الفلسطيني، فإن هناك نقصاً ملحوظاً في الأبحاث حول الفلسطينيين في دول الخليج، وخاصة ما يتعلق بمجتمع الفلسطينيين في السعودية.

ثالثاً: التغييرات في سياسات الدول المضيئة: تاريخ موجز عن السّعودة

قدّمت الحكومة السعودية في عام 2011 برنامج توطين يسمى "نطاقات" يهدف إلى زيادة نسبة السعوديين في القوى العاملة⁽²⁷⁾. وقد جاءت هذه المبادرة من أجل إحياء برنامج السّعودة السابق، الذي يرجع تاريخ نشأته

24 Laurie A. Brand, *Palestinians in the Arab World: Institution building and the Search for State* (New York: Columbia University Press, 1988).

25 Yann Le Troquer & Rozenn Hommey Al-Oudat, "From Kuwait to Jordan: The Palestinians' Third Exodus," *Journal of Palestine Studies*, vol. 28, no. 3 (Spring 1999), pp. 37-51.

26 Celia E. Rothenberg, "Ties that Bind: The Gulf Palestinian Community in Toronto," *Communal/ Plural*, vol. 8, no. 2 (2000), pp. 237-255.

27 "السعودية تطلق برنامج 'نطاقات' المطور لتوفير 340 ألف وظيفة"، العربية، 2021/5/23، شوهد في 2022/12/25، <https://bit.ly/4dbXKPQ>؛ في

إلى ثمانينيات القرن الماضي، وكان قد حقق نجاحًا محدودًا في السابق⁽²⁸⁾. وقد استهدفت سياسة السعودية، قبل عام 2011، تخصيص نسبة 30 في المئة على الأقل للمواطنين من إجمالي القوى العاملة في الشركات الخاصة التي تضم 20 موظفًا أو أكثر.

في السنوات اللاحقة، انتقلت مسؤولية السعودية إلى ممثلي الحكومة الذين أصدروا قوانين أكثر صرامة للحد من عدد الأجانب في القوى العاملة. وشملت لوائح القوانين هذه عددًا من الإجراءات من قبيل فرض "رسوم ترخيص للعمل أو الإقامة، ونفقات تأشيرة الخروج والعودة، وإصدار تأشيرة العمل"⁽²⁹⁾. ومن الجدير بالذكر أن برنامج "نطاقات" يتماشى، على نحو أساسي، مع التسلسل الهرمي الاجتماعي لدول الخليج. ويشار إلى الأجانب في السعودية، الذين يشكلون نسبة كبيرة من السكان، فُرضت عليهم بنية من السياسات التي تعمل على نحو ممنهج على جعلهم أقل قدرة اقتصادية، وتأتي الضرائب الباهظة بوصفها واحدة منها، والتي يعفى المواطن من أكثرها تكلفة، ويتلقى الدعم في المتبقي منها.

ترفع هذه البنية مكانة المواطنين الأصليين - الخليجي/ السعودي - إلى مكانة اجتماعية أعلى، محمية بعناية بما يجعلهم فوق معظم الوافدين الأجانب، بمن في ذلك أولئك الذين ينتمون إلى دول الشمال العالمي⁽³⁰⁾. وفي السنوات الأخيرة، انكشفت هذه البنية لدى العديد من غير السعوديين الذين يعيشون في السعودية. ففي مقابلة أجريتها مع سامح، وهو مهندس يبلغ من العمر 34 عامًا، فلسطيني الأصل من مواليد السعودية، قال: "لقد تأملت في السنوات الخمس عشرة الماضية في السعودية، ووجدت أنه قبل عام 2015 كان الأجانب يعيشون على قدم المساواة مع السعوديين من حيث نوعية الحياة والقبول الاجتماعي. ولكن بعد ذلك، تغيرت الأمور. أصبحت الحياة في السعودية أصعب، حيث أصبحت الصعوبات المالية لا تطاق [...] السعوديون يعيشون حياة مترفة للغاية. في زيارتي الأخيرة، ذهبت إلى مكان جديد اسمه البوليفارد في الرياض. لم أر أي أجنبي، السعوديون فقط هم من كانوا هناك، ببساطة لأنهم هم الوحيدون القادرون على تحمّل تكاليف هذا المكان"⁽³¹⁾.

استحدث برنامج "نطاقات" أسلوبًا جديدًا لتقييم الشركات الخاصة، حيث جرى ربط نسبة السعودية المطلوبة بعدد الموظفين. وإضافة إلى ذلك، جرى تطوير نظام هرمي للشركات، حيث حصلت الشركات التي لديها نسبة أعلى من العمال السعوديين على دعم حكومي أكبر وقيود أقل. وفي هذا الصدد، تصنّف الشركات إلى أربع فئات بناءً على نسبة السعودية، بدءًا من الأدنى إلى الأعلى، هي: الحمراء والصفراء والخضراء والبلاتينية⁽³²⁾.

28 James Wynbrandt, *A Brief History of Saudi Arabia*, 2nd ed (New York: Infobase Publishing, 2010); Helen Perrin, "The Nitaqat Program: What Employers in Saudi Arabia Need to Know," *Global Workplace Insider*, 11/11/2013, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/jkyBH>; Mahmoud Kamal Abouria, "Saudization Framework and Unemployment in Saudi Arabia: Antecedents and Consequences," *European Journal of Business and Management*, vol. 6, no. 17 (2014), pp. 199-207.

29 Ahmed Al-Asfour & Sami A. Khan, "Workforce Localization in the Kingdom of Saudi Arabia: Issues and Challenges," *Human Resource Development International*, vol. 17, no. 2 (2014), p. 199.

30 Christopher M. Davidson, "Expatriates and the Gulf Monarchies: Politics, Security and the Arab spring," *Asian Affairs*, vol. 45, no. 2 (2014), pp. 270-288.

31 سامح، مقابلة شخصية، عمان، 2021.

32 أجريت تحديثات لاحقًا بعد كتابة هذه الدراسة على برنامج نطاقات تحت اسم "برنامج نطاقات المطور"، وأطلقت في تاريخ 2021/5/13. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: "الدليل الإجمالي: برنامج نطاقات المطور، الإصدار 2"، وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية، شوهد في <https://shorturl.at/gTVX8>، في: 2024/4/30.

وتواجه الفئتان الصفراء والحمراء قيوداً على التوسع، وتوظيف عمال أجنبي جدد، والمشاركة في الفرص الحكومية الجديدة، مثل تقديم العطاءات للمناقصات أو تأمين العقود مع الجهات الحكومية⁽³³⁾.

وبعد وفاة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في كانون الثاني/يناير 2015، اعتلى الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود العرش، وعيّن ابنه محمد وزيراً للدفاع، ثم ولياً للعهد في وقت لاحق من عام 2017. وفي عام 2015، تدخلت السعودية في اليمن في "عملية عاصفة الحزم"، الأمر الذي فرض أعباءً اقتصادية على البلاد⁽³⁴⁾. وعلاوة على ذلك، برزت تحديات داخلية أخرى شملت انخفاض أسعار النفط، والنزاعات الحكومية، والبطالة بين الشباب السعوديين، الذين حازوا في السنوات الأخيرة تعليماً عالياً. وقد شكّلت هذه القضايا مجتمعة تحديات أمام تطلعات ولي العهد محمد بن سلمان، الذي كان يرنو إلى تحقيق شعبية بين الشباب السعوديين، وحياسة مزيد من السيولة المالية من أجل تمويل مشاريعه الطموحة. وسعى إلى معالجة هذه الأمور من خلال "رؤية 2030" التي تهدف إلى تنويع مصادر الدخل وتقليل الاعتماد على النفط من خلال الإصلاحات الاقتصادية والضرائب، التي تم تنفيذها في عام 2017⁽³⁵⁾.

يركز هذا المبحث على السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى فرض ضريبة على مرافقي العاملين الأجانب، إذ تتطلب هذه الضريبة الجديدة من كل أجنبي دفع رسوم شهرية عن كل مُعال⁽³⁶⁾ مسجّل يعوله، وازدادت هذه الرسوم في السنوات الأربع التالية⁽³⁷⁾. ومع حلول عام 2021، استقرت الزيادة عند أعلى معدل، وهو 400 ريال سعودي (106.67 دولارات أميركية) شهرياً. ويُؤدي عدم دفع الرسوم إلى تراكم الغرامات، ما يمنع، في النهاية، تجديد الإقامة، ويؤدي إلى الإيقاف الفوري لجميع الخدمات العامة؛ ويشمل ذلك تجميد الحسابات المصرفية والتأمين الصحي، ورفض الدوائر الحكومية المعاملات، ومن ثم الترحيل المحتمل. ونتيجة لذلك، قابلت أثناء إجرائي هذه الدراسة العديد من العائلات المتعثرة في سداد الرسوم في الوقت المحدد، ما أوقعهم تحت ديون حكومية متراكمة، وأصبحوا غير قادرين على الوفاء بها قبل المواعيد النهائية للسداد.

منذ عام 2017، وطوال السنوات الخمس الماضية، واجهت عائلة أنور صعوبات هائلة، بسبب تحصيل الضريبة على المرافقين. ويوضح أنور ذلك بالتفصيل بقوله: "في الأصل، ابتدأت هذه الرسوم من 100 ريال سعودي، وارتفعت إلى 400 ريال سعودي في عام 2021، وثبتت فيما بعد عند هذا الرقم. ويتطلب تجديد الإقامة وقت إجراء الدراسة تغطية هذه الرسوم، إلى جانب نفقات التأمين الطبي، التي تُكلف الفرد من

33 Al-Asfour & Khan, p. 199.

34 May Darwich, "The Saudi Intervention in Yemen," *Insight Turkey*, vol. 20, no. 2 (Spring 2018), pp. 125-142; Wynbrandt.

35 Carolyn Canham, "Saudi Arabia Vision 2030," *World Economic Forum*, 20/1/2017, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/jkW12>

36 تعريف المُعالين يشمل كل أفراد العائلة التابعة للعامل الوافد من زوجة أو زوجات (من اثنتين إلى أربع)، وأبناء وأمهات، وأصهار، ومدبرات المنزل. للمزيد ينظر:

Aarti Nagraj, "Saudi's Expat Dependent Fee: Everything You Need to Know," *Gulf Business*, 6/7/2017, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/hGIU1>

37 للحصول على المزيد عن التفاصيل حول المبلغ الذي يجب أن تدفعه عائلة مهاجرة بناء على عدد المُعالين في أسرة غير سعودية متوسطة في السعودية لديها ستة معالين (متوسط واقعي للعائلات المهاجرة، وخاصة الفلسطينيين الذين يحملون وثائق أردنية برقم وطني أو من دونه) ينظر: الملحق (2).

3000-5000 ريال سعودي [حوالي 800-1333 دولارًا أمريكيًا] سنويًا، بحسب العمر والجنس. لقد كانت السنوات الثلاث إلى الأربع الماضية هي الفترة الأكثر صعوبةً في حياتنا في السعودية بسبب الأعباء المالية. لقد وضعونا في ضغط نفسي صعب جدًا، وأصبح جزءًا من حياتنا اليومية. لقد استفدنا وأرهقنا ماليًا هذا الأثر التراكمي لهذه التكاليف. في السابق كان أي شخص يتقاضى راتبًا قدره 5000 ريال سعودي [1333 دولارًا أمريكيًا] قادرًا على أن يفتح بيتًا ويعيل أسرة، أما الآن فمن يتقاضى هذا الراتب يعتبر فقيرًا جدًا - وهذا تناقض صارخ مع الظروف الاقتصادية قبل عشر سنوات⁽³⁸⁾.

أثرت هذه المبالغ بشدة في الطبقات المتوسطة إلى الدنيا من غير السعوديين، إذ إنها تتجاوز نصف متوسط دخل الطبقة المتوسطة، وجل دخل الطبقة الدنيا. في جانب المسؤوليات المالية الإضافية، مثل الإيجار ورسوم تعليم الأطفال والفواتير الخدمائية، يصبح واضحًا أن هذه الطبقات باتت تحظى بالحد الأدنى من الدخل، وانعدمت لديها إمكانيات الادخار. وقد أدى التفكير في المبالغ الهائلة التي يجب على كل أسرة دفعها مقابل وجودها في السعودية، بالعديد من غير السعوديين إلى مغادرة البلاد أو إعادة عائلاتهم إلى وطنهم. على سبيل المثال، توزعت عائلتي الممتدة (الأخوال والخالات والأعمام والعمات) حاليًا على ستة بلدان: السعودية والأردن وتركيا والكويت والبحرين ومصر. كما انتقل معظم زملائي السابقين في السعودية إلى خارج البلاد، أو أرسلوا عائلاتهم إلى الأردن.

في هذا السياق، يحاج خلف والشهابي وهنية⁽³⁹⁾ بأن حكومات الخليج تستخدم طريقتين للسيطرة على عدم التوازن الديموغرافي الناجم عن صناعة النفط وعائذاتها الكبيرة. الأولى هي إنشاء نظام نيوباتريمونيالي⁽⁴⁰⁾ مخصص لمنع تشكيل مجتمع متماسك. ويرتبط تعريف المواطنة في ظل هذا النظام بالوصول الحصري إلى الحقوق القانونية والاقتصادية والسياسية، إضافة إلى القرب من الأسر الحاكمة والولاء لها. والثانية هي الحد من الحقوق السياسية والاقتصادية لـ "الآخر" المنبذ؛ حيث أصبحت امتيازات دولة الرفاهية العديد، مثل بناء الثروة وتكوين رأس المال وامتلاك العقارات، حقلًا حصريًا للمواطنين فحسب. لذلك، أصبحت النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أداة للسيطرة على المواطنين والأجانب. وقد مثلت هذه البنية دورًا محوريًا في حظر اندماج المجتمعات الفرعية المختلفة في المجتمع الوطني.

يمكن تفسير تنفيذ قرار فرض ضريبة المرافقين، بوصفها جزءًا من تاريخ أوسع لبرامج السعودية، بأنه شكل من أشكال السيطرة الديموغرافية؛ إذ إنه من جرائها، تعرّض العديد من غير السعوديين، الذين شكلوا أكثر من نصف إجمالي القوى العاملة في السعودية في عام 2016، للنزوح القسري. وفي هذا السياق، يتحدث غسان بادكوك⁽⁴¹⁾، عن ميزتين لفرض ضريبة المرافقين: "استبدال (بعض) الأجانب المغادرين بالمواطنين، وخاصة

38 أنور، مكالمة هاتفية، 2021.

39 Khalaf, AlShehabi & Hanieh (eds.), pp. 39-56.

40 نظام وراثي محدث، قوامه التسلسل الهرمي الاجتماعي، وفيه يستخدم المستفيدون موارد الدولة لتأمين ولاء العملاء بدلًا من عموم السكان

41 غسان بادكوك، "رسوم العمالة.. ما لها وما عليها"، عكاظ، 2017/7/15، شوهد في 2021/12/25، في: <https://shorturl.at/flqHZ>

أولئك الذين يعملون في مناصب إدارية. [و] البدء بتصحيح عدم التوازن في عدد السكان بعد أن وصلت نسبة غير السعوديين إلى 40% من إجمالي السكان⁽⁴²⁾.

ونتيجةً لذلك، أُجبر فرض هذه الضريبة العديد من الفلسطينيين الذين يحملون وثائق أردنية، ويعيشون في السعودية منذ عقود، على مغادرتها لعدم قدرتهم على تلبية المتطلبات المالية الجديدة. وكانت وجهاتهم الرئيسة تركيا والأردن. في حين بقي بعض الفلسطينيين الذين يحملون وثائق أردنية، ممن هم أوفر حظًا من الناحية المالية، في السعودية، أو هاجروا إلى دول غربية، مثل الدول الأوروبية وكندا والولايات المتحدة الأمريكية.

رابعاً: الفلسطينيون في السعودية: السياق التاريخي والقانوني

لا يُصنف الفلسطينيون في السعودية على أنهم لاجئون، حيث لم تصدّق الحكومة السعودية على اتفاقية عام 1951 الخاصة بوضع اللاجئين، أو بروتوكولها لعام 1967، أو الاتفاقية المتعلقة بوضع الأشخاص عديمي الجنسية لعام 1954، أو اتفاقية عام 1961 بشأن خفض حالات انعدام الجنسية⁽⁴³⁾. وبدلاً من ذلك، تصنفهم على أنهم أجانب/ مهاجرون (وافدون).

يتشابه فلسطينيو السعودية من حملة الجوازات الأردنية مع غيرهم من غير السعوديين في شروط إقامتهم؛ إذ يجب أن يكونوا تحت ضمان مواطن أو شركة محلية. ويُعرف هذا النظام باسم نظام "الكفالة"⁽⁴⁴⁾، حيث يُطلب من كل من هو غير سعودي/ آخر أن يتوافر لديه عقد محدد المدة للإقامة في البلاد. وعند انتهاء العقد، يكون للكفيل الخيار في تجديد العقد، أو منح المكفول الوقت للعثور على كفيل آخر، أو يكلف بالرحيل خلال أسبوع⁽⁴⁵⁾.

يستخدم الشعب والحكومة السعوديان هذه المصطلحات للإشارة إلى جميع غير السعوديين، بمن فيهم الفلسطينيون. وبهذا يندرج فلسطينيو السعودية ضمن مجموعة أو عملية صناعة "الآخر"⁽⁴⁶⁾، التي لطالما جسدت دوراً كبيراً منذ النكبة في تشكيل الهوية الفلسطينية⁽⁴⁷⁾، ويكون اعتمادهم على رب عملهم في تأمين الإقامة (الكفيل) أحد أهم محددات هذه العملية.

42 يظهر الملحق (3) جدولين يوضحان كيفية تغير التوزيع الديموغرافي استجابةً للسياسات الحكومية في الفترة 2016-2021.

43 United Nations High Commissioner for Refugees, *Submission by the United Nations High Commissioner for Refugees for the Office of the High Commissioner for Human Rights' Compilation Report-Universal Periodic Review: The Kingdom of Saudi Arabia* (March 2013), p. 1, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/gmoA5>

44 أصدرت وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية (2021) بعض التغييرات على نظام الكفالة كجزء من برنامج التحول الوطني المسمى مبادرة إصلاح العلاقة التعاقدية، منح حرية نسبية للموظف غير السعودي فيما يتعلق بالتنقل الوظيفي، وتتيح له استخراج وثيقة الخروج والعودة، ووثيقة الخروج النهائي من دون اللجوء إلى الكفيل. للمزيد ينظر: "دليل المستخدم لخدمات مبادرة تحسين العلاقة التعاقدية"، وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية، 2021/3/14، شوهد في 2024/4/30، في: <https://shorturl.at/ghDR9>

45 "نظام الإقامة والتعديلات الصادرة عليه"، شوهد في 2022/5/5، في: <https://bit.ly/3UeK4ef>

46 يعرف جان فرانسوا ستازاك الآخر بأنها "نتيجة لعملية خطابية تقوم من خلالها مجموعة مهيمنة (نحن، الذات) ببناء مجموعة أو أكثر للهيمنة عليها (هم، الآخرون) من خلال وصم الاختلاف - سواء أكان اختلافاً حقيقياً أم متخيلاً - بحيث تُنفى أي خصوصية لذواتهم، فتكون دافعاً للتمييز [...] إن عدم التماثل في علاقات القوة أمر أساسي لبناء الآخريّة. ولتوضيح ذلك ببساطة، فإن الاختلاف بين الناس المُهيمنين والمُهيمن عليهم ينتمي بطبيعته إلى عالم الواقع، في حين تنتمي صناعة الآخريّة إلى عالم الخطاب". للمزيد ينظر:

Jean-François Staszak, "Other/ Otherness," in: Rob Kitchin & Nigel Thrift (eds.), *International Encyclopedia of Human Geography* (Oxford: Elsevier Science, 2009).

47 Issam Nassar, "Reflections on Writing the History of Palestinian Identity," *Palestine-Israel Journal*, vol. 8, no. 4 (2001), pp. 24-37.

خامساً: المرحلة الأولى من التثاقف

تمسك الجيل الأول من المهاجرين الفلسطينيين في السعودية بحق العودة، ورفض العديد منهم التجنيس⁽⁴⁸⁾. فالجيلان الأول والثاني من الفلسطينيين لم يكن لديهم وعي عميق بحقهم في العودة فحسب، بل تبثوا أيضاً هوية فلسطينية خالصة. وأدت فكرة فلسطين/ الوطن دوراً حاسماً في تشكيل حياة كلا الجيلين وهوياتهما. وسواء كان ذلك نابغاً من صلاتهم المباشرة بفلسطين (في حالة الجيل الأول) أو من خلال سرد القصص التفصيلية عن الأحداث والأماكن التاريخية (في حالة الجيل الثاني)، فقد أدت فلسطين دوراً فاق في تأثيره الدور الذي جسّدته السعودية، التي مثلت للجيل الثاني مكان الولادة، وللجيل الأول البلد الذي عاشوا فيه جلّ حياتهم تقريباً.

بالنسبة إلى جيل الألفية، بخلاف الجيلين الأول والثاني، فإن العلاقات المباشرة مع الوطن الأصلي غائبة. ولم يكن نقل الذكريات من الأجيال الأكبر سناً إلى الجيل الثالث فعالاً كما كان مع الجيلين الأول والثاني. بل إن العديد من أفراد جيل الألفية، ممن ينظرون إلى السعودية على أنها مقر إقامتهم الدائم Habitual Residence⁽⁴⁹⁾، يفقدون الصلة المباشرة بموطنهم الأصلي الفلسطيني. وتكاد فرص سفر بعضهم، من معدومي الجنسية، تكون مستحيلة، بسبب القيود المفروضة عليهم، نظراً إلى خصوصية المستندات التي يحملونها. وهذا يعني أنهم لم يخبروا مجتمعاً آخر، بمثل ما خبروا المجتمع السعودي وعرفوه. ولذلك، تشكلت هويتهم إلى حد بعيد بفعل عملية المثاقفة النفسية التي انخرطوا فيها مع المجتمع والثقافة السعوديين، وتأثرت بهما أيضاً.

تتكون المرحلة الأولى من عملية التثاقف النفسي لجيل الألفية في السعودية من مرحلتين: تشمل المرحلة الأولى الطفولة والمراهقة قبل الالتحاق بالجامعة، وتغطي المرحلة الثانية فترة ما بعد الالتحاق بالجامعة ودخول سوق العمل. وخلال المرحلة الأولى، يجد جيل الألفية توازناً من خلال تشكيل هوية متشابكة تتكون من طبقتين ثقافيتين هما الفلسطينية والسعودية. ويشكل الانتقال بين المرحلتين الأولى والثانية وعي الفرد الفلسطيني الشاب بواقع كونه غير سعودي/ آخر في السعودية، ما يؤدي، بعد ذلك، إلى نمط غير صحي من التكيف، يحفره على التفكير في الهجرة.

1. من الطفولة إلى المراهقة

كانت العلاقة بين جيل الألفية والمجتمع السعودي المضيف أثناء الطفولة علاقةً عضوية، وتتخذ شكل التعلق القوي والانصهار مع الثقافة السعودية، لا سيما في غياب التدخل الحاسم من الأسر، بمنع أطفالهم من الانخراط والتفاعل مع العائلات السعودية. لذلك، كان يقضي أطفال هذا الجيل غالب وقتهم في المدارس

48 لطالما سرد كبار السن من فلسطيني السعودية هذه الرواية، مؤكدين أنه كان من السهل الحصول على جوازات سفر سعودية، وأنها عُرضت عليهم في مناسبات عديدة. ومع ذلك، رفضوا العرض، ثابتين على قناعاتهم بأن فلسطين ستستعيد حريتها، وأنهم سيعودون في النهاية إلى وطنهم. لا ينطبق هذا على الجميع، فهناك بعض الأسر الفلسطينية التي قبلت التجنيس.

49 مكان الإقامة الدائم هو "البلد الذي يختار الشخص البقاء فيه على نحو دائم، ويكون مقراً لكل علاقاته ومصالحه"، وعادة ما يكون هذا هو البلد الذي يعيش فيه الشخص أو يقضي معظم حياته فيه. ينظر:

Dietmar Baetge, "Habitual Residence," *Max Planck Encyclopedia of European Private Law*, accessed on 14/12/2022, at: <https://shorturl.at/uBHY2>

السعودية الحكومية ومراكز تعليم القرآن ومع أصدقائهم في الحي؛ ما أنتج علاقات صداقات كثيرة مع أفراد المجتمع المضيف، فيتقنون اللهجة السعودية كأهلها، ويلبسون الملابس التقليدية، ويتمثلون الثقافة المحلية احتوت المدارس والأحياء السعودية مزيجًا متنوعًا من الجنسيات، ما جعل التفاعل سهلًا بين الأطفال من هذه الخلفيات، العربية وغير العربية. وقد كان هذا التنوع جليًا في الفصول المدرسية، وخاصة في المدارس الحكومية، التي ضمت مزيجًا من الطلاب المنحدرين من مختلف الدول العربية، إلى جانب الطلاب السعوديين. وبالتفكير في تجاربي الخاصة، فقد زاملتُ أثناء الدراسة أشخاصًا من مصر والسودان والسعودية واليمن وفلسطين والصومال وتونس وسورية ولبنان ودول أخرى، وكنا نتحدث اللهجة السعودية، خاصة خارج المنزل، حيث أصبح هذا هو العرف السائد بيننا.

تستعرض منار، وهي من الذين جرت مقابلتهن، أفكارها في هذا الصدد قائلة: "انغمس أطفالي بعمق في التواصل الاجتماعي مع المجتمع السعودي، حتى تأثرت لهجتهم بشكل كبير"⁽⁵⁰⁾. وخلال هذه المرحلة من الحياة، يخضع أفراد جيل الألفية لعملية الانصهار بلا إدراك منهم. على سبيل المثال، وُلدت سلوى، إحدى المستجيبات، في مدينة القصيم، ونشأت في الرياض، وتخرّجت في جامعة خاصة، وتزوجت فلسطينيًا، وأنجبت طفلها، وعاشت كل هذا في السعودية. ومن ثم، تقارن علاقتها العضوية مع معلماتها في المدرسة بالتغيرات التي حدثت بعد التخرج، فتقول: "عندما كنت في المدرسة الابتدائية، كنت محبوبة من جميع معلماتي، على الرغم من أن جميعهن كنّ سعوديات، وذلك لأنني كنتُ طالبةً متميزةً. لقد كانت علاقتهم ودية للغاية معي ومع والدي [...]. لكن عندما كبرتُ وذهبتُ إلى الجامعة تغيرَ كل شيء"⁽⁵¹⁾.

تختلف درجة صعوبة عملية المثاقفة تبعًا لأيدولوجيات المجتمع المضيف⁽⁵²⁾. وتشبه سياسات بعض المجتمعات الإيجابية المتعددة الثقافات التي تنتهجها استراتيجية الدمج⁽⁵³⁾. وإضافةً إلى ذلك، تتبع بعض المجتمعات أيدولوجيات أخرى إلى جانب الدمج، مثل: الانصهار أو الانعزال أو التهميش، حيث تتبنى مواقف غير مرحبة بـ "الآخرين". ووفقًا لذلك، يمكننا أن نفهم أن "العديد من المهاجرين وأحفادهم [سوف] يستمرون 'في الظهور' كأقليات [أو آخرين]، بصريًا وثقافيًا، حتى بعد إتقانهم [...]. وتبنيهم جوانب من ثقافة [المضيف]"⁽⁵⁴⁾.

وفي هذا الصدد، تقول سلوى: "خلال سنواتنا في المدرستين الابتدائية والثانوية، كانت التفاعلات بين السعوديين وغير السعوديين تخلو من المشاكل عمومًا. ومع ذلك، وعند دخول الجامعة، طرأ تحول ملحوظ، أصبحنا نرتاح أكثر مع غير السعوديين، وذلك لأن الأجيال تغيرت. ومع مرور السنين، أصبح الشعور المتزايد بالعنصرية جليًا، وأصبح من الواضح أننا لم نعد نلقى استقبالًا جيدًا كما الحال من قبل، فتدرك أنهم لم يعودوا يحبون وجودك"⁽⁵⁵⁾.

50 منار، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

51 سلوى، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

52 Schwartz, Montgomery & Briones, pp. 1-30.

53 Berry, "Immigration," pp. 5-34.

54 Schwartz, Montgomery & Briones, p. 12.

دفعت مواقف المجتمع السعودي جيل الألفية، في مراحل طفولته، ومن دون وعي منه، إلى اتباع استراتيجيات الانصهار من أجل أن يتكيفوا مع المجتمع. ويتجلى الانصهار جيداً في إتقان اللهجات السعودية، النجدية أو الحجازية، استناداً إلى المنطقة التي نشأ فيها الفرد. وثمة مظهر آخر هو اللباس، فقد ارتدى العديد من جيل الألفية الثوب السعودي كونه إلزامياً للذكور في المدرسة. وعلاوة على ذلك، بات الجمع بين المأكولات السعودية والفلسطينية جزءاً من التجربة اليومية للفلسطينيين. على سبيل المثال، تتبنى غالبية الأسر الفلسطينية في السعودية، بما فيها عائلتي، التقاليد السعودية في ممارستها الغذائية.

2. من المراهقة إلى الجامعة

من بين الآخرين من الجماعات غير السعودية الأخرى، يُعتبر فلسطينيو جيل الألفية مثالاً على الأشخاص المولودين في الخليج، والذين أمضوا حياتهم بأكملها في مكان مولدهم، من دون أن يحتفظوا بأي صلة بوطنهم. وعلى الرغم من تصنيف الأنظمة السياسية لهم على أنهم "أجانب" أو "آخرون"⁽⁵⁶⁾، يبقى مسقط رأسهم هو جوهر هويتهم المتخيلة. وقد طوّر العديد منهم مشاعر خاصة بالانتماء إلى السعودية، وأحسوا بارتباط حقيقي بالمكان بسبب تربيتهم. ومع ذلك، لا يزالون محرومين من حقوق المواطنة الأساسية التي تُمنح تلقائياً بالولادة في بلدان أخرى⁽⁵⁷⁾.

شكّلت بداية مرحلة التعليم العالي لجيل الألفية نقطة البدء لإدراكهم المشاكل الحقيقية لعملية الانصهار باعتبارها استراتيجية للثقافة. لذلك، بدأ خيار الانصهار يتلاشى تدريجياً مع تقدّمهم في السن، وبدؤوا يفكرون أكثر في اختلافاتهم وتباين مكائنتهم في المجتمع السعودي. وبدا واضحاً لديهم التفاوت في الفرص والحقوق بين السعوديين وغير السعوديين/ الآخرين بعد المراهقة. فبعد إتمامهم الدراسة الثانوية وبدء تحضيرهم للجامعة، يجد غالبهم أن عليه السفر خارج السعودية، وخاصة إلى الأردن، لاستكمال تعليمه. ومرجع ذلك ندرة الفرص المتاحة لغير السعوديين في السعودية للقبول في الجامعات الحكومية السعودية، والارتفاع الشديد لمصروفات الجامعات الخاصة.

وفي هذا الشأن، تعلّق نوال: "في السعودية، ترى الجميع يكافحون بعد الانتهاء من المدرسة الثانوية. الجميع يبحث عن جامعة، لكن ينتهي الأمر بمعظمهم إلى السفر خارجاً. جميع أصدقائي ذهبوا إلى مصر أو الأردن. هم منتشرون في كل أنحاء العالم"⁽⁵⁸⁾. ثم إن هذه التفاوتات في فرص التعليم العالي بين المواطنين/ السعوديين وجيل الألفية قد بدأت بتعزيز الوعي بـ "الأخرية" Otherness التي تمارس ضدهم، ما أدى إلى تحوّل في استراتيجيات الثقافة لديهم.

56 Françoise De Bel-Air, "Demography, Migration and Labour Market in Saudi Arabia," *Explanatory Note*, no. 1, Gulf Research Center (2014), accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/jLS34>; Nadeen Dakkak, "The Absent Voices of Second-Generation Migrants in the Gulf States," *Migrant-Rights.org*, 27/6/2020, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/AFJL6>

57 للمزيد حول قانون الجنسية السعودي، ينظر:

Kingdom of Saudi Arabia, Bureau of Experts at the Council of Ministers, *Law of Saudi Arabian Nationality* (Riyadh: 2/9/1954), accessed on 2/5/2024, at: <https://bit.ly/3xWHcLA>

58 نوال، مقابلة شخصية، جدة، 2019.

3. ما بعد الجامعة وإعادة اكتشاف الجذور

بدأت مواقف المجتمع السعودي تشهد تغيرات كبيرة تجاه غير السعوديين، وهو ما يتجلى في تقييد فرصهم في العمل، وظهور خطابٍ مُعادٍ لهم في الفضاء العام. ومن أجل مواجهة فلسطينيي جيل الألفية من مواليد السعودية للإقصاء و"الآخريّة"؛ الهوية التي "يتم بناء الآخر [فيها] على أنه أدنى في المكانة [الاجتماعية]"⁽⁵⁹⁾، فإنهم يمثلون الثقافة السعودية وانصهروا في الهوية السعودية لتجنب هذا الشعور بـ "الآخريّة". تتأمل نورة في تجربتها المدرسية قائلة: "كانت تصلنا مشاعر واضحة من زميلاتنا السعوديات في المدرسة، كنّ يُشعِرُنَا بأننا أجنبيات، وهنّ سعوديات. كان شعورًا واضحًا يمكننا إحساسه، حتى إن لم يتم التصريح به"⁽⁶⁰⁾.

لذلك، بدأ العديد من جيل الألفية التفكير في معنى العيش في السعودية، وفي الكيفية التي ستعيد تشكيل مستقبلهم. وفي هذا الصدد، أتذكر مناقشاتي، بعد التخرج والعودة إلى السعودية، مع العديد من الأصدقاء والزملاء حول مغادرة البلاد بسبب التغيير السريع في القوانين، وخاصة قوانين السعودية؛ فقد شعرنا أن المستقبل لن يكون مستقرًا بالنسبة إلينا كما كان لأبائنا وأمهاتنا. كان هناك شعور بتراكم العداء تجاه غير السعوديين كما لو أن دعاية الشيطنة كانت تستهدفهم.

وعلاوة على ذلك، بدأ جيل الألفية إدراك وضعهم بوصفهم غير مواطنين، وأنه ليس لديهم القدرة على الحصول على الجنسية، حيث إن قوانين السعودية لا تمنح الجنسية بالولادة. كما سَلِمَ هذا الجيل بجذوره الفلسطينية واستحالة العودة إلى فلسطين. وقد أدى عدم القدرة على العودة إلى فلسطين والانخراط في الحياة اليومية لبلدهم الأصلي إلى انفصالهم الوجودي عنه. وفي هذا، تقول نوريا، وهي امرأة في الأربعين من عمرها، وُلدت وتزوجت وعاشت كل حياتها في السعودية: "عندما يسألنا أحد، نجيب بأننا فلسطينيون، لكننا وُلدنا في السعودية. أنا أعتبر هذه البلاد وطني. لا أعرف شيئًا عن فلسطين، ولم أذهب إلى هناك قط. لقد وُلدت ونشأت هنا، وكل عائلتي تعيش هنا. أعرف أنني فلسطينية، لكنني لا أشعر بذلك"⁽⁶¹⁾.

عاد أفراد جيل الألفية لاكتشاف جذورهم مرة أخرى، ولم يكن ذلك من خلال المعرفة التاريخية أو التثقيف العائلي، بل من خلال فهمهم حقيقة وضعهم في السعودية. وبدأ وعيهم بالمعضلة الفلسطينية، بوصفها جزءًا حيويًا من هويتهم، عندما بدأت المواقف تجاه غير السعوديين تتغير. فتقول نوريا، التي ذكرت في وقت سابق أنها لا تشعر بأنها فلسطينية، في جزء آخر من المقابلة: "بعد فرض ضريبة المرافقين، شعرتُ كيف كان يشعر أسلافنا النازحون، شعرتُ أنني أقرب إلى فلسطين من ذي قبل، وفهمتُ القمع الذي مروا به"⁽⁶²⁾.

ثمة سبب آخر جعل أفراد جيل الألفية يبتعدون عن الانتماء إلى وطنهم الأصلي، وهو طبيعة الذكريات السلبية التي كانت تتسلل إلى مشاعرهم، خاصة عندما كان كبار السن من الجيل الأول يتحدثون عما حدث لهم في فلسطين. يقول نايف، وهو أحد أفراد جيل الألفية عاش حياته كلها مع عائلته في مدينة الخُبر: "فلسطين جزء أساسي من هويتنا، ويتحتم أن تكون كذلك. لكن لسوء الحظ، هو جزء محزن أكثر من كونه جزءًا سعيدًا. أقصد، لا ضير أن تكون فخورًا بأصلك، لكن كلما تذكرت الأحداث التي أخبرني عنها أجدادي،

59 Sune Qvotrup Jensen, "Othering, Identity Formation and Agency," *Qualitative Studies*, vol. 2, no. 2 (2011), p. 65.

60 نورة، مقابلة شخصية، عمان، 2020.

61 نوريا، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

62 المرجع نفسه.

أدرك أن جميعها كانت أحداثاً حزينة. ليس لدينا أي ذكريات سعيدة [...] كل القصص والذكريات تبعث فيك مشاعر الحزن"⁽⁶³⁾.

وعلى الرغم من أن أفراد جيل الألفية حاولوا جاهدين أن ينصهروا في المجتمع السعودي، فإنهم لم يتمكنوا من الاندماج تماماً في النسيج الاجتماعي، ولم يصبحوا جزءاً جوهرياً منه. وفي هذا الصدد، يقول نوار، الذي وُلد وعاش حياته في السعودية ودرس في إحدى الجامعات السعودية الخاصة، وعمل فترةً طويلةً مهندساً بعد تخرجه: "بغض النظر عن مدة إقامة الفلسطينيين في السعودية، إلا أنهم لن يصبحوا سعوديين أبداً"⁽⁶⁴⁾. ويؤكد هذا أيضاً نايف، فيقول: "أرجع إلى نفسي هذه الأيام، وأتأمل: كيف كنتُ أنظر إلى السعودية وأنظر إليها الآن؟ هناك فرق كبير. في الماضي، كنا نفكر كأن البلد يحبنا ويهتم بنا، ولكن الآن، وبعد كل سياسات الدولة هذه، نشعر أنهم لا يريدوننا. إنهم يحبون طبقة ثرية معينة فقط (البرجوازيون)، ولا يهتمون بالناس العاديين أمثالنا. لقد كان هذا التغيير عنيماً، لم يكن هناك أي مقدمات [...] لقد جردوا الكثير من الناس من أعمالهم، واستبدلوهم بسعوديين قسراً [...] فعلى سبيل المثال، تم إغلاق جميع متاجر الهواتف المحمولة التي يمتلكها يمنيون، ونقلوا إدارتها، عنوة، إلى سعوديين. كان هذا التغيير ظلماً متعمداً بهدف إجبار الناس على الرحيل"⁽⁶⁵⁾.

بدأ جميع الأفراد الذين قابلتهم، بعد تخرجهم وعودتهم إلى السعودية، حياتهم الجديدة بالدخول إلى سوق العمل. وأصبحوا يلاحظون على نحو لافت الفرق في الفرص والأجور والملكية والوصول إلى الخدمات الحكومية والدعم مقارنةً بالسعوديين. وبالنظر إلى ما سبق، لم يستطع العديد من أفراد جيل الألفية أن يتكيفوا جيداً مع المجتمع السعودي، بل عاشوا في وضع منعزل، على الرغم من جهودهم السابقة لينصهروا من خلال تبني العديد من العادات والممارسات الثقافية من قبيل اللهجة والمأكول والملبس والعادات الاستهلاكية⁽⁶⁶⁾.

تصف تُريا علاقة الفتور بين المجتمعين الفلسطيني والسعودي على مستوى كبار السن قبل حدوث التغييرات على النحو التالي: "لم يكن هناك تواصل اجتماعي حقيقي مع السعوديين. لطالما شعرنا بوجود فجوة بيننا [...] لكننا لم نكرههم قط. كان لدي الكثير من الصداقات الوثيقة مع صديقاتي السوريات والمصريات، أكثر من السعوديات [...] أشعر أن غير السعوديين كانوا أقرب إلينا، كما لو كنا متشابهين بحكم نضالنا المشترك"⁽⁶⁷⁾.

يُشير توصيف تُريا إلى الدور الذي تؤديه السياسات الحكومية في تشكيل العلاقات الاجتماعية وصياغتها بين أفراد المجتمع. ولو نظرنا إلى جيل الألفية الأصغر سناً في المراحل السنية المبكرة، ما قبل الجامعة تحديداً، كما أشرنا سابقاً، فنسجد أن العلاقة التي تجمعها بالمجتمع السعودي تتسم بطبيعة أكثر تلاحماً وانصهاراً، في حين

63 نايف، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

64 نوار، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

65 نايف.

66 Soraya W. Assad, "The Rise of Consumerism in Saudi Arabian Society," *International Journal of Commerce and Management*, vol. 17, no. 1-2 (Spring-Summer 2007), pp. 73-104; Shahid N. Bhuian & Alhassan G. Abdul-Muhmin, "Consumerism in the Arab Middle East: The Case of Saudi Arabia," in: Ajay K. Manrai, H. Lee Meadow (eds.), *Global Perspectives in Marketing for the 21st Century: Proceedings of the 1999 World Marketing Congress* (New York/ Dordrecht/ London: Springer, 2015), pp. 93-95.

67 تُريا.

أن الجيل الأكبر سنًا كان يعيش علاقةً فاترةً مع المجتمع المضيف. ومع مرور الوقت وتقدّم الصغار في السن، تتكشف لديهم طبيعة ما تفرضه السياسات الحكومية من علاقات بالمجتمع المضيف، فتتغير علاقة أقرانهم بهم، وتتبدل سلوكياتهم، ما يفرض فتورًا بين المجتمعين المضيف والمضاف.

وبناء على ما سبق، أرى أن هذه المرحلة منتج نهائي لمثاقفة جيل الألفية في السعودية، ويمكن إلى حد ما وصفها بأنها حالة تكيف ضعيف وغير صحي. لذلك، لاحظتُ قيام العديد من زملائي بالهجرة إلى كندا والولايات المتحدة قبل تموز/ يوليو 2017، عندما شعروا بتغيّر كبير على وشك الوقوع، وبدأ آخرون في التخطيط لتحركات مماثلة. وتُظهر المؤشرات غير الصحية الخوف الراسخ من المستقبل، والشعور بعدم الانتماء، والإحساس بضيق العمر، وعدم تقدير جهود المهاجرين للعمل في هذه البلاد. في حين لم يشعر كبار السن الفلسطينيين بهذا الخطر البتة، ولم يكونوا على دراية بالتحوّلات المقبلة، بل كانوا على استعداد للتعامل مع أيّ وضع للحفاظ على استقرار حياتهم ما أمكن. وأذكر أن أحد زملائي قال لي إن والدته، الستينية، قد رفضت مغادرة السعودية، وفضّلت بيع مجوهراتها وممتلكاتها الثمينة للبقاء في البلاد.

4. بعد مغادرة السعودية: استياء وحرز

سببت مغادرة السعودية إلى الأردن جرحًا عميقًا في هوية جيل الألفية؛ فقد أثار الانتقال القسري استياءً وحرزًا عميقين، إضافة إلى شعور بإرباك في الهوية. فقد كان على عملية التثاقف أن تبدأ من جديد عندما كان أفراد هذا الجيل على وشك تحقيق حالة من التوازن. وتمثّل كلمات تُربّي وصفًا نموذجيًا لمشاعر الاستياء هذه، فتقول: "عندما أتذكر أنني مُنعت من دخول البلد الذي نشأتُ فيه، وعشتُ فيه حياتي كلها، يغمري شعور بالحرز"⁽⁶⁸⁾. وميرا مثال آخر، فتصف هذه الفترة الصعبة قائلة: "الجانب الذي يحزني بعمق هو أنهم لم يقدّموا استثناءات لأشخاص معينين بهذه القوانين الجديدة التي فرضوها، كوالدي مثلاً، الذي عاش 50 عامًا في السعودية. كان في إمكانهم إصدار إعفاءات لأولئك الذين وُلدوا في البلاد، وعاشوا هناك فترة طويلة. عملت عمتي معلمة فترة طويلة، ولكن عندما طبّقوا سياسة العودة، طُردت فورًا، واستُبدلت بمعلمة سعودية! لماذا لا يوجد تقدير لما قدّمناه لهذا البلد؟"⁽⁶⁹⁾.

لقد غدّى المجتمع السعودي استراتيجيّة العزل الثقافيّة التي دفعت فلسطينيي جيل الألفية إلى محاولة الانصهار والتكيف بأفضل شكلٍ ممكن. لكن أنتج هذا المنحى في نهاية المطاف تكيفًا غير صحي وهوية مشوشة. واستطاع العديد من أفراد هذا الجيل إيجاد شكل هوياتي متوازن بتوليف طبقتين ثقافيتين متشابهتين - الفلسطينية والسعودية - في المرحلتين الأولى والثانية من حياتهم. ومع ذلك، لم تكتمل عملية التثاقف في السعودية بتاتًا، ما أدى إلى الارتباك وخيبة الأمل بعد التغيرات في المواقف الاجتماعية تجاه غير السعوديين. لكن هذا الارتباك لا يمحو الطبقة الهوياتية الثقافية السعودية، بل ينبع منها ويحافظ عليها.

68 المرجع نفسه.

69 ميرا، مقابلة شخصية، عمّان، 2021.

سادساً: الانتقال إلى الأردن: المرحلة الثانية من التثاقف وتأثيرها في الهوية الثقافية

بعد إقرار رسوم الوافدين في تموز/ يوليو 2017، غادر العديد من فلسطينيي جيل الألفية السعودية. وكانت الوجهتان الرئيسيتان تركيا والأردن. في حين نقل العديد من معيالي أسر هذا الجيل أفراد أسرهم إلى الأردن، واستمروا في العمل في السعودية. لم ينقل البعض سوى كبار السن والأخوات والإخوة الأصغر سنًا، الذين لا يستطيعون العمل، وذلك من أجل تجنب الضريبة المفروضة على مرافقي العاملين الوافدين، حتى المواليد الجدد. لذا، فإن عددًا كبيرًا من العائلات الفلسطينية، التي تحمل جوازات سفر أردنية، عادت بالكامل إلى الأردن⁽⁷⁰⁾. وقد اتخذت عائلتي القرار نفسه، فأقدمت على مجازفة محسوبة بالعودة إلى الأردن. وبدت هذه العودة والدراسة في الأردن خيارًا عقلائيًا. وبالنظر إلى أن العائلة لم يكن لديها خبرة حياتية خارج السعودية، فقد واجهتها تحديات صعبة جدًا على المستوى الاجتماعي.

ومع ذلك، اختار الكثيرون ألا يعودوا بالكامل، بسبب مخاوفهم الاقتصادية من عدم استقرار الاقتصاد الأردني، ووعيهم بعدم قدرتهم على الحفاظ على نمط المعيشة نفسه لأسرهم إن عادوا إلى العمل هناك. ويُعزى ذلك إلى أن معظمهم لم يكن لديه أيّ خطط احتياطية للعيش خارج السعودية، ولم يتخيلوا إطلاقًا أنهم سيغادرونها. على سبيل المثال، قال نورس، الذي يقرب من عامه الستين: "أكبر خطأ ارتكبناه أنا وإخوتي هو أننا عشنا حياتنا كلها في السعودية من دون التفكير في خلق فرص عمل لنا في الأردن كي تدعمنا عند تقاعدنا"⁽⁷¹⁾.

حصل العديد من أفراد جيل الألفية على درجة البكالوريوس في الأردن، وعاد بعضهم للعمل في السعودية بعد قرار تموز/ يوليو 2017، في حين بقي آخرون يدرسون في الأردن. وبالنسبة إلى الذين عادوا قبل فرض ضرائب 2017، فقد وجدوا وظائف بسرعة، وباشروا عملهم خلال أقل من ستة أشهر. أما بالنسبة إلى أولئك الذين ما زالوا يدرسون، فقد أصبح تجديد تصريح الإقامة مكلفًا أكثر، ما دفع أسرهم إلى إنهاء إقامتهم تجنبًا للعبء المالي. وكان بعضهم يأملون الحصول على تأشيرة جديدة بعد التخرج كي يعودوا إلى السعودية، لكن الكثيرين رأوا أن أحلامهم تتبخّر بعد تطبيق الرسوم الضريبية الجديدة.

أطلق هذا الانتقال عملية تثاقف جديدة، أثّرت في الطبقتين السعودية والفلسطينية المتشابكتين من هوية جيل الألفية، وأعاد تشكيلها بإضافة طبقة جديدة لتتشبك مع الطبقتين السابقتين. ولم تكن تجربة التثاقف النفسي الثانية، التي بدأت عند الانتقال إلى الأردن، هي نفسها بالنسبة إلى جميع أفراد هذا الجيل. وينبع هذا التباين من حالة عدم اليقين المتأصلة في التثاقف النفسي، حيث يُعتبر عملية شديدة التغير تعتمد على العديد من العوامل الضابطة، بما في ذلك السمات الشخصية والاجتماعية والنفسية للشخص المتثاقف⁽⁷²⁾. ومن أهم القضايا التي تؤثر في انتقال هذا الجيل إلى الأردن تلك التي تتمثل في ضائقة الهوية الناتجة من التفاوتات في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الأردن والسعودية.

70 على الرغم من غياب أرقام رسمية، فإن حجم المجتمع الفلسطيني في السعودية انخفض انخفاضًا كبيرًا، ولا يوجد فرد من أي عائلة نعرفها هنا، إلا له قريب قد غادر البلاد.

71 نورس، مكالمة هاتفية، 2021.

72 Berry, "Immigration, pp. 5-34.

حظي العائدون إلى الأردن من أصول فلسطينية جميعهم (حملة الجوازات الأردنية الكاملة والمؤقتة) حينما كانوا في السعودية بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية والحقوق القانونية نفسها. فقد اجتمعوا تحت تصنيف واحد، وهو أنهم ليسوا سعوديين، أو أنهم أردنيون، أو أجانب/ وافدون في نظر الحكومة السعودية. وعاشوا في بلد يمتلك وفرة في فرص العمل ولوائح قانونية تسمح لهم بممارسة أي مهنة تقريباً قبل أن تستدعي الظروف الانتقال. لكن عند انتقالهم إلى الأردن، واجهوا تحديات كبيرة، لا سيما شح فرص العمل في ظل الاقتصاد الأردني المتعثراً⁽⁷³⁾.

يعتمد الحصول على عمل في الأردن على التشبيك الاجتماعي كثيراً؛ وهو تحدٍ للعائدين الجدد من فلسطيني جيل الألفية، الذين لا يملكون شبكة اتصالات اجتماعية راسخة، تسهل فرص حصولهم على عمل. إضافة إلى ذلك، فإن الأجور في الأردن محدودة جداً مقارنةً بالسعودية⁽⁷⁴⁾، ولذلك كانت تكلفة المعيشة في متناول الجميع قبل عام 2017 عندما كانوا في السعودية، بخلاف الوضع بعد ذلك. ويُعتبر العائدون من الفلسطينيين الذين يحملون الجوازات المؤقتة لاجئين، فهم يعتبرون في الأردن بلا جنسية. وقد أحدثت عودتهم إلى الأردن تحولاً عميقاً على مستوى المكانة الاجتماعية، ما يزيد من تعقيد وضعهم في السياق الثقافي الجديد، ويكثف ضغوط عملية التثاقف. وعموماً، تساهم عوامل عديدة في اختيار العائدين لاستراتيجية الانعزال عن البلد الذي يحملون وثائقه الرسمية (الأردن)، مثل نوعية الحياة وظروف المعيشة وانعدام رأس المال الاجتماعي.

1. صراع العمل

بدأ أفراد جيل الألفية، بعد عودتهم إلى الأردن، البحث عن فرص عمل في السوق الأردنية. لكن لسوء حظهم، لم يجدوا شيئاً، أو حصلوا على عمل برواتب أقل بكثير مقارنةً بالسعودية. وقد عبر جميع المستجيبين عن مخاوفهم بشأن التحديات التي واجهوها أثناء البحث عن وظيفة. كانت القضية الأولى هي ندرة فرص العمل بسبب ارتفاع معدل البطالة في الأردن، الذي وصل إلى 24.7 في المئة في الربع الأخير من عام 2020، محطماً بذلك الأرقام القياسية التاريخية⁽⁷⁵⁾.

وثمة تحدٍ آخر تمثل في الافتقار إلى رأس المال الاجتماعي، الذي يساعد جيل الألفية على دخول سوق العمل الأردني من خلال تشبيك العلاقات. ومن المهم أن نلاحظ في هذا السياق أن مصطلح رأس المال الاجتماعي لا

73 Jalal Al Hussein, "Challenges Facing Jordan's Labour Market," in: Myriam Ababsa (ed.), *Atlas of Jordan: History, Territories and Society* (Beyrouth: Presses de l'Ifpo, 2013).

74 على سبيل المثال، يبلغ الحد الأدنى للأجور للمواطنين السعوديين 4000 ريال سعودي (1063.64 دولاراً أميركياً)، وللأجانب 2500 ريال سعودي (664.78 دولاراً أميركياً)، ينظر:

Valentine Marie, "Average Salaries and Minimum Wage in Saudi Arabia," *Expatica Saudi Arabia*, 24/4/2024, accessed on 30/4/2024, at: <https://bit.ly/44exuQN>

بينما الحد الأدنى للأجور للمواطنين الأردنيين في الأردن هو 260 ديناراً أردنياً (366.56 دولاراً أميركياً)، وللأجانب 230 ديناراً أردنياً (324.27 دولاراً أميركياً)، ينظر:

Batool Ghaith, "Minimum Wage Falls Short of Living Costs-Experts," *The Jordan Times*, 1/8/2022, accessed on 30/4/2024, at: <https://bit.ly/3WcQIV3>

75 The Hashemite Kingdom of Jordan, Department of Statistics, "24.7% Unemployment Rate during the Fourth Quarter of 2020," 9/3/2021, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/fuTU9>

يشير إلى "الواسطة" أو المحسوبية، بل يعني تحديداً التشبيك المهني، وهو "النسخة الأكثر إيجابية لاستخدام العلاقات من أجل التقدم أو النجاح أو تجنب الآثار السلبية [التي قد تلحق بالفرد في بيئة العمل] ويعتبر هذا النوع من التشبيك أكثر أشكال رأس المال الاجتماعي فائدة؛ كونه الأجدر والأكثر نزاهة لتوفير اعتراف عادل بقدرات الشخص وجهوده"⁽⁷⁶⁾.

يُضاف إلى هذه التحديات تعقيد آخر يتعلق باختلاف اللهجات والطباع الثقافية. فالافتراض الأولي لسكان البلد من الأردنيين عندما يصادفون أحد فلسطينيي جيل الألفية هو أنهم سعوديون. لا أحد يخمن أنهم فلسطينيون أو أردنيون. وقد واجهتُ هذا الانطباع يوماً، إذ كلما التقيتُ شخصاً جديداً، يسألني: "من أين أنت؟ هل أنت من السعودية؟ من اليمن؟ أو هل أنت خليجي؟". ويحدث الشيء نفسه مع نواف، فيقول مازحاً: "في البنك، اعتقدوا أنني سعودي قبل أن أعطيهم أوراق وظيفتي الجديدة"⁽⁷⁷⁾.

إضافة إلى ذلك، وبحسب رفيف، هناك انطباعات خاطئة عن العائدين من جيل الألفية، تحرمهم من أن يؤخذوا في الاعتبار في العديد من فرص العمل⁽⁷⁸⁾. ويزداد هذا الوضع سوءاً مع طبيعة الفساد المستشري في منظومة عمل السوق الأردنية، والمتعلقة بالواسطة أو المحسوبية⁽⁷⁹⁾.

جعلت هذه الانطباعات الخاطئة بيئة العمل للعائدين غير مريحة بتاتاً، حيث يعتقد الكثيرون أن أي شخص عاش في السعودية هو شخص ثري. وهذا الاعتقاد الخاطئ عرضهم لمواقف غير مهنية، وأحياناً للاحتيال. تتحدث رفيف عن تجربتها وعملها مصممة ديكور داخلي في الأردن بعد عودتها من السعودية: "كل عرض عمل حصلت عليه كانت أجرته أقل من 400 دينار. بالنسبة لي، لا يمكنني قبول هذا الراتب، لأنه غير مقبول لمصمم لديه ثلاث سنوات من الخبرة، وخاصة عندما أعرف معدلات الأسعار لتنفيذ المشاريع في الأردن، حيث المديرين هنا جشعون، ولا يقدرّون مهنة التصميم الداخلي، إذ يعتبرونه شيئاً يمكن لأي شخص عاقل أن يفعله. حاولتُ أيضاً أن أعمل بشكل مستقل مع العديد من شركات التصميم، لكنني واجهت الكثير من الاحتيال والسرقة والغش"⁽⁸⁰⁾.

علاوة على ذلك، فإن الفارق في الاحترافية والمهنية في العمل بين السعودية والأردن كبير. يذكر العديد من العائدين أنهم يواجهون الكثير من التحديات في قبول بيئات العمل في السوق الأردنية وفهمها. وفي هذا الصدد، يقول سيف، الرئيس السابق لقسم التصميم في جامعة سعودية مرموقة، بعدما افتتح مؤسسة صغيرة عند عودته إلى الأردن: "أشعر أن الناس في الأردن لا يريدون العمل. لقد سئمت من محاولة بناء مشروع

76 Annika Kropf & Tanya Cariina Newbury-Smith, "Wasta as a form of Social Capital? An Institutional Perspective," in: Mohamed A. Ramady, *The Political Economy of Wasta: Use and Abuse of Social Capital Networking* (New York/Dordrecht/ London: Springer, 2016), p. 4.

77 نواف، مقابلة شخصية، إربد، 2020.

78 رفيف، مقابلة شخصية، إربد، 2021.

79 للمزيد حول طبيعة الفساد المستشرية التي تتعلق بالواسطة والمحسوبية في السوق الأردني، ينظر:

Mohammad Rawabdeh et al., "The Extent of the Phenomenon of Wasta and Favoritism in the Jordanian Public Sector," Queen Rania Center for Jordanian Studies and Community Service, Yarmouk University (July 2020), accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/hoqv7>

80 رفيف.

تجاري هنا؛ أفكر حقاً في العودة إلى السعودية. الناس هنا لا يحرصون على الوقت ويفتقرون إلى الدقة في تنفيذ العمل"⁽⁸¹⁾.

2. فقدان الانتماء لدى العائدين

يجد العديد من العائدين صعوبة في الاستقرار في المجتمع الأردني. قد يظن البعض أن الشعور بفقدان الانتماء يقتصر على جيل الألفية، من عديمي الجنسية الذين لا يحملون جوازات أردنية بأرقام وطنية. ومع ذلك، وجدتُ أن الشعور بعدم الانتماء هو شعور منتشر بين الكثير من العائدين، ممن لديهم جوازات السفر بأرقام وطنية أو من دونها. وفي هذا الصدد، يتحدث نورس، أحد أفراد هذا الجيل، عن تجربته الصعبة: "عندما جئتُ إلى الأردن، شعرت أن كل شيء كان غريباً بالنسبة إليّ. الناس مختلفون، وتفكيرهم مختلف. لم أشعر بالراحة في الأردن قط"⁽⁸²⁾.

تراوح أسباب عدم الانتماء من تغييرات عامة في نمط الحياة إلى اختلافات ثقافية محددة تعوق التكيف مع المجتمع الجديد. ويمكن تلخيص الأسباب الأكثر وضوحاً على النحو التالي:

أولاً، التغيير الحاد والسلبى في نمط الحياة، والذي يتضمن تغيرات في توافر المنتجات، والنظم الصحية، والقدرة الشرائية، وإمدادات المرافق الأساسية (الغاز والكهرباء والمياه). وفي هذا السياق، تصف نوال هذه التغييرات بوضوح، فتقول: "كل شيء هنا مختلف [...] ربما يكون الأمر نفسياً، لكن لا يمكنني العثور على الشعور نفسه تجاه أي شيء وجدته في الرياض [...] حتى جودة شامبو الشعر والماء مختلفة؛ وحتى قوام شعري تغير في الأردن. جودة المنتجات هي أهم شيء، لكن الناس هنا يهتمون بالسعر فقط [...] أما فيما يتعلق بالمياه، فوضع السباكة هنا في حالة طوارئ مستمرة لأن الأنابيب مسدودة باستمرار بسبب تكدسات الملح والشوائب العالية في الماء. ولأن المياه تصلنا من شركة المياه مرة واحدة فقط في الأسبوع، فإننا نغسل ملابسنا عندما يأتي الماء. لم تشغل هذه الأمور بالنا في الرياض إطلاقاً"⁽⁸³⁾.

ثانياً، يرى أفراد جيل الألفية أنهم لا يُعتبرون أعضاء حقيقيين في أي من الثقافات الثلاث التي تتشكل منها هويتهم. وهنا، فإنه من المهم النظر في مصطلح الثنائية الثقافية Biculturalism، الذي يستخدم للإشارة إلى الأفراد الذين يجمعون بين المثل والقيم والممارسات التي يتلقونها من ثقافة المجتمع المضيف والتي يرثونها من ثقافة مجتمعهم⁽⁸⁴⁾. وفي حالتنا، فإن أفراد جيل الألفية قد عادوا إلى الأردن بوصفهم أفراداً ثنائيي الثقافة فعلاً. وفي ضوء ذلك، سبب الانتماء إلى الثقافتين السعودية والفلسطينية وضعا أطلق عليه شوارتز وآخرون⁽⁸⁵⁾ وضع "شد الحبل" Tug of War بالنسبة إلى العائدين، إذ يواجه الفرد مشاكل في الجمع بين مثل الثقافتين القديمة والجديدة. ونتيجة لذلك، فإن أهل البلد، من كلتا الثقافتين، السعودية والأردنية، لن يعاملوا الفرد العائد باعتباره عضواً حقيقياً في أي منهما، على الرغم من أنه قد يبدو، ظاهرياً، منسجماً

81 سيف، مقابلة شخصية، إربد، 2020.

82 نورس، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

83 نوال، مقابلة شخصية، إربد، 2020.

84 Berry, "Immigration," pp. 5-34.

85 Schwartz, Montgomery & Briones, pp. 1-30.

جيدًا في كليهما. ولهذا السبب، لا يُعتبر العائدون أردنيين أو فلسطينيين أو سعوديين بالكامل، بل هم خليط من الثقافات الثلاث.

في إجازتنا السنوية، عندما كنا نزور جدتي وعمّاتي، كان أصدقائي في الحي في الأردن ينادونني بـ "عبد الله السعودي". وفي سياق متصل، يقول نايف: "عندما كنتُ في السعودية، بنيتُ هويتي على كوني فلسطينيًا، لذلك عندما يتحدث سعودي بشكل سيئ عن فلسطين، كنتُ أشعر أنني أتعرض للمضايقة. والآن، وبعد أن كبرت، أصبح الجزء السعودي من هويتي أوضح. وهكذا، أصبح شعوري بالحب للسعودية في الأردن أعمق. لذلك، عندما يسخر أي شخص من السعودية، كان هذا يجعلني أشعر أنهم يسخرون من جزء مني [...] كنتُ حقًا أشعر بأني سعودي، لأن كل من يراني كان يقول: 'أنت سعودي!' 'أنت تبدو كالسعودي!'، أو 'أقسم أنك لست أردنيًا!'"⁽⁸⁶⁾.

لا يتحدث أفراد جيل الألفية بلهجة واحدة خالصة، بل يستخدمون مزيجًا من اللهجات السعودية والفلسطينية والأردنية. وبهذا، تصبح عملية التثاقف الجديدة في الأردن صعبة، لأن اللهجة جزء أساسي من "التكيف" في المجتمع. وفي هذا الصدد، يقول سراج: "مهما حاولت إخفاء أنك عشت في السعودية، إلا أن الناس هنا سيعرفون أنك لست من أهل البلد، وسيعاملون معك على أنك خليجي على الفور. الكلمات التي يستخدمها الناس هنا للإشارة إلى الأشياء مختلفة، وهذا هو السبب في أنهم يسخرون مني دائمًا عندما أتحدث، مما يجعلني كثير الصمت وقليل الكلام. يناديني بعض الزملاء بـ 'السعودي!' وغالبًا ما يطلبون مني خدمات، مثل إعارتهم سماعاتي أو مشاركتهم الإنترنت. وكانوا يدعونني، ساخرين، بالرجل الثري إذا اشتريت عبوة مياه من مقصف المدرسة"⁽⁸⁷⁾.

إضافة إلى ذلك، يشعر جيل الألفية أن هناك استياءً مستشريًا على مستوى البلاد، حيث يعُمّ الشعور بالإحباط بشأن المستقبل والاقتصاد في الأردن. وهذا الشعور يتوافق مع ثلاثة من أحدث استطلاعات الرأي ومسوحات الرأي العام التي أجراها المعهد الجمهوري الدولي⁽⁸⁸⁾. فقد أظهرت ازديادًا في عدم الرضا عن البلاد والاقتصاد. وفي هذا السياق، يقول نايف: "الجميع يتذمر من الحياة، والجميع محبط، مما يجعلك تشعر بالإحباط أيضًا. تجعلك هذه السلبية تشعر كأن حياتك ستندم"⁽⁸⁹⁾.

ثمة عامل يستحق الدراسة، هو التحولات الحادة في مستويات الالتزام الديني والممارسات الدينية. فبعد نشأتهم في البيئة السعودية المحافظة، حيث كان الفصل بين الجنسين واضحًا، والتعليم والممارسات الدينية مكثفة، عرّضهم الانتقال إلى الأردن لمعايير جديدة أقل صرامة وتشددًا في الممارسة الدينية. وهذا تحول كبير بالنسبة إليهم. في هذا السياق يشاركنا نورس تجربته، فيقول: "عندما أتيتُ إلى هنا، شعرتُ بشيء غريب في المجتمع: الكثير من الناس هنا لا يُصلون! عندما كنت في السعودية، حتى أقل الناس تدينًا، والذي قد يعطيك انطباعًا بأنه

86 نايف.

87 سراج، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

88 "Survey of Jordanian Public Opinion, May 22-25, 2017," *National Poll*, no. 15, The International Republican Institute, accessed on 9/5/2021, at: <https://shorturl.at/nyGLX>; "Public Opinion Survey: Residents of Jordan, November 14-22/11/2019," The International Republican Institute, accessed on 9/5/2021, at: <https://shorturl.at/ajqE5>

89 نايف.

لم يصل في حياته قط، تجده عندما يسمع الأذان، يدخل المسجد مباشرة [...] الصلاة هنا ليست أولوية، وهو أمر يحطم قلبي. والشيء ذاته ينطبق على الصيام. الالتزام بالتعاليم الدينية هنا ضعيف جداً⁽⁹⁰⁾.

وعموماً، تكشف الأدبيات عن أوجه تشابه في جوانب عدة بين مواليد جيل الألفية من أصل فلسطيني والفلسطينيين الكويتيين الذين عادوا إلى الأردن بعد حرب الخليج الأولى، مثل شعورهم بالإقصاء ومقارنتهم معايير المعيشة بين الأردن والكويت⁽⁹¹⁾. كما أن هناك شعوراً مشتركاً بالهوية المشتركة التي تميزهم من بقية السكان المحليين⁽⁹²⁾. ويعطي هذا التشابه بريقاً من الأمل في المستقبل، لا سيما بالنظر إلى أن الإقامة الطويلة، كما وضح لي تروكير والعودات في دراستهما⁽⁹³⁾، التي أظهرت تكيف فلسطينيي الكويت على نحو صحي مع الحياة في الأردن على المدى البعيد. ومع ذلك، أريد الإشارة إلى أن عائلة زوج أختي، التي كانت تعيش في الكويت، والتي عادت إلى الأردن في التسعينيات، اضطرت إلى العودة مرة أخرى إلى الكويت بعد نحو عشرين عاماً من الإقامة في الأردن، بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة في البلاد. وهذا يؤكد الحاجة إلى إجراء الدراسات الطولية Longitudinal Studies، التي يمكن من خلالها التحقق وتتبع النتائج الطويلة المدى لعملية التثاقف.

3. طبقة جديدة في الهوية الثقافية

التغييرات الجديدة التي واجهها جيل الألفية بعد انتقالهم إلى الأردن، دفعتهم إلى تجربة ثقافت ثانية، استوعبوا بها الثقافة الأردنية عن طريق إضافتهم طبقة جديدة إلى هويتهم. ومع ذلك، وجد بعض العائدين أن التفاعل مع المجتمع والثقافة الأردنيين أصعب. ويوضح ذلك سراج في إجابته عن سؤال "كيف تعرّف نفسك؟" بقوله: "لكل من يسألني هذا السؤال أقول: أنا سعودي، ثم أردني، ثم فلسطيني. وذلك استناداً إلى الأماكن التي عشتُ فيها". في المقابل، يجد العديد من أبناء هذا الجيل أنفسهم أنهم يشعرون بأنه لا توجد هوية لهم، أو أنهم لا يعرفون "من هم".

هذا الشعور جعل نايف ومروان يتفقان في الإجابة عن هذا السؤال: "لا أشعر بأني أردني رغم أنني أردني. في داخلي، أرى نفسي بلا هوية. ربما يكون الأقرب إلى نفسي هو أن أكون سعودياً!"⁽⁹⁴⁾.

لقد أدى انتقال بعض مواليد جيل الألفية إلى إحداث تشوه هوياتي، فقد عملت الأيام على تعميق شعورهم بعدم الانتماء إلى المجتمع الأردني. وساهم هذا في انفصالهم عن الواقع، وتقوقعهم في طبقات هوياتهم الأخرى (السعودية أو الفلسطينية)، وتدرجياً قد يؤدي ذلك إلى رفضهم التواصل تماماً مع المجتمع المضيف. على كل حال، يمكن الزعم أن أفضل تصور لحالة العائدين في هذا السياق أنها مرحلة حياتية، تكون فيها خصائص الهوية الشخصية محددة لمدى سلاسة عملية التثاقف. وهذا يعني أن بعض الأفراد ممن تتسم شخصياتهم بأنها أقل مرونة، يحتاجون إلى المزيد من الوقت لإيجاد توليفة الاستراتيجيات الثقافية التي

90 نورس، مقابلة شخصية.

91 Le Troquer & Al-Oudat, pp. 37-51.

92 Rothenberg, pp. 237-255.

93 Le Troquer & Rozenn Hommery Al-Oudat, pp. 37-51.

94 نايف؛ مروان، مقابلة شخصية، إربد، 2019.

تناسبهم. وعمومًا، فإن الوقوف على وصف أكثر تفصيلاً لتكيف جيل الألفية في الأردن في حاجة إلى مزيد من الوقت نظرًا إلى قصر الفترة التي قضاها إلى وقت إجراء الدراسة.

خاتمة

في عام 2017، كان لقرار فرض ضريبة على مرافقي العاملين الوافدين في السعودية، ضمن سياسة السعودية الطويلة، الأثر الكبير في المجتمع الفلسطيني، ما دفع كثيرين منهم إلى العودة إلى الأردن. وقد أثار القرار بشدة في وجود المجتمع الفلسطيني في السعودية، إذ اضطر الكثير من فلسطينيي جيل الألفية إلى ترك السعودية والعودة إلى الأردن، وما رافقه العديد من التغييرات في حياتهم. استكشفت هذه الدراسة هذه التغييرات وتأثيراتها في الهوية الثقافية لجيل الألفية، باستخدام شكل معدل من النظرية الرباعية للثقاف النفسي. واقترحت نهجًا نظريًا جديدًا يربط عمليات التثاقف باعتبارها مراحل مترابطة أو حياتية، وتوظف الهوية الثقافية أداة لتوضيح الطبيعة المتطورة لهذه التغييرات الثقافية مع مرور الوقت، والتي تؤدي دورًا في تشكيل هوية معقدة ومتشابكة ومتعددة الطبقات.

فحصت الدراسة عملية التثاقف لدى جيل الألفية من الطفولة حتى العودة إلى الأردن، ووجدت أنها تتكون من مرحلتين رئيسيتين، هما: مرحلة ما قبل الهجرة إلى الأردن، ومرحلة ما بعدها. الأولى تنقسم بدورها إلى مرحلتين: تغطي أولهما الطفولة والمراهقة قبل الذهاب إلى الجامعة، في حين تغطي الثانية فترة ما بعد الالتحاق بالجامعة، ثم العودة إلى العمل في السعودية. خلال المرحلة الأولى من الطفولة، اندمج جيل الألفية، لإرادياً، لينصهر مع المجتمع السعودي / المضيف. وبحلول نهاية هذه المرحلة، تكيف هذا الجيل جيداً مع المجتمع السعودي، واستطاع تشكيل هوية فلسطينية وسعودية متشابكة ومتعددة الطبقات. ومع ذلك، تراجعت جدوى الانصهار باعتباره استراتيجية للتثاقف في المرحلة الثانية، وذلك بالتزامن مع الانتهاء من التعليم الأساسي والالتحاق بالجامعة. هنا، أدى إدراكهم عدم المساواة في الحقوق والفرص مقارنةً بنظرائهم السعوديين إلى ظهور وعي بحالة "الأخرية". وتزامن ذلك مع التغييرات التراكمية غير المواتية في المواقف الاجتماعية والسياسات الحكومية تجاه الجاليات الأجنبية في السعودية. وفي إثر ذلك، بدأ أفراد هذا الجيل التفكير في كيفية تأثير العيش في السعودية في مستقبلهم، ما أدى إلى التكيف السيئ وغير الصحي، باعتباره منتجاً نهائياً للتثاقف في السعودية.

في المرحلة الثانية، وبعد الهجرة إلى الأردن، بدأ جيل الألفية عملية تثاقف جديدة تسببت في تغييرات اجتماعية واقتصادية حادة. فقد واجهوا العديد من القيود في سوق العمل الأردنية، من ندرة العمل، والافتقار إلى رأس المال الاجتماعي، والاختلافات في بيئات العمل، والتفاوتات الثقافية واختلاف اللهجات. وهذا جعل الانتماء إلى الأردن يُمثل تحدياً أمامهم، وهو ما أدى إلى شعورهم بعدم الانتماء إلى أيٍّ من المجتمعات الثلاثة التي كانوا جزءاً منها. ومع تثاقفهم مع المجتمع الأردني، تفاعلت الطبقتان الثقافتان الفلسطينية والسعودية السابقتان لديهم مع ثقافتهم الأردنية الجديدة، وتشكلت لديهم هوية معقدة متشابكة ثلاثية الأوجه. ومع ذلك، وجد بعض العائدين منهم صعوبة في التثاقف مع المجتمع والثقافة الأردنيين، ما أدى إلى العزلة والتشوه في هويتهم الثقافية.

تنتهي الدراسة بالتوصية بإجراء المزيد من الدراسات الطولية، فأحد العوامل التي تحد من نتائجها هو تركيزها على التأثير المباشر لعمليات الترحيل في الجالية الفلسطينية في السعودية. وتؤكد حالات دراسية أخرى

تناولت مسألة النزوح المتعددة على أهمية إجراء دراسات أطول زمناً، بهدف استكشاف التداعيات البعيدة المدى للتثاقف، وملاحظة نوع التكيف الذي قد ينتج منه. وقد اكتنفت الدراسة محدودية في تغطية المرحلة الأردنية من عملية التثاقف بسبب القيود الزمنية التي أعقبت عملية الترحيل، علماً أن إقامة العائدين في الأردن تراوح بين سنتين وخمس سنوات كحد أقصى. ومع ذلك، تشير النتائج إلى بعض أوجه التشابه مع الفلسطينيين الكويتيين، خاصة في المراحل المبكرة من عودتهم إلى الأردن، وهو ما يعكس شعوراً مشتركاً بالهوية المميّزة التي شكّلتها تجربتهم في بلدان الخليج، وشعوراً بالإقصاء أيضاً، إلى جانب عقد العديد من المقارنات فيما يخص مستويات المعيشة بين الأردن والخليج.

شكر وتقدير

يشكر الباحث كل من ساهم في إنجاز هذه الدراسة، وفي مقدمتهم الذين أجريت معهم المقابلات البحثية، وأستاذي ومشرفي محمد الشناق، وعروب العابد. والشكر موصول إلى الجمعية الأميركية للعلوم السياسية American Political Science Association, APSA على قبولها مراجعة الدارسة في ورشة تطوير أعمال الباحثين الناشئين التي عُقدت ضمن أعمال مؤتمرها السنوي في مدينة لوس أنجلوس (2023)، وأخص بالذكر نيرمين علم، وأليسون هارنتت Alison Hartnett، وستيفن مونورو Stephen Monoro، وليليان فروست Lillian Frost على قراءة الدراسة والتعليق عليها.

الملحق (1)

قائمة المستجيبين في المقابلات ونوع الوثائق التي يحملونها

العمر	الجنس	نوع الوثيقة	أعلى مستوى علمي	مكان التعليم العالي
52	أنثى	جواز سفر أردني برقم وطني	الشهادة الثانوية	السعودية
38	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	الشهادة الثانوية	السعودية
36	أنثى	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	السعودية
33	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	السعودية
32	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	الأردن
32	أنثى	جواز سفر أردني مع رقم وطني	بكالوريوس	الأردن
30	أنثى	جواز سفر فلسطيني ووثيقة سفر مصرية مؤقتة	بكالوريوس	كندا
29	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	الأردن
27	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	السعودية
26	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	الأردن
24	أنثى	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
24	أنثى	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	السعودية

العمر	الجنس	نوع الوثيقة	أعلى مستوى علمي	مكان التعليم العالي
21	أنثى	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
19	أنثى	جواز سفر فلسطيني ووثيقة سفر مصرية مؤقتة	بكالوريوس	كندا
37	ذكر	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
32	ذكر	جواز سفر فلسطيني	بكالوريوس	السعودية
31	ذكر	وثيقة سفر مصرية مؤقتة	بكالوريوس	اليمن
27	ذكر	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	السعودية
25	ذكر	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
24	ذكر	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	الأردن
23	ذكر	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
23	ذكر	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
22	ذكر	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	الأردن
22	ذكر	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	قبرص
21	ذكر	جواز سفر أردني مؤقت	بكالوريوس	دراسة عبر الإنترنت
21	ذكر	جواز سفر أردني مؤقت	الشهادة الثانوية	السعودية
21	ذكر	جواز سفر أردني برقم وطني	بكالوريوس	تركيا

الملحق (2)

المبالغ المدفوعة لعائلة وافد واحد في السعودية (بالدولار الأمريكي)

عدد المعالين	تموز/ يوليو 2017 - حزيران/ يونيو 2018	تموز/ يوليو 2018 - حزيران/ يونيو 2019	تموز/ يوليو 2019 - حزيران/ يونيو 2020	بعد تموز/ يوليو 2020
واحد	160	640	960	1280
اثنان	320	1280	1920	2560
ثلاثة	480	1920	2880	3840
أربعة	640	2560	3840	5120
خمسة	800	3200	4800	6400
ستة	960	3840	5760	7680

المصدر: "بدء تطبيق استحصا ل مقابل مالي عن المرافقين والمرافقات للعاملين الوافدين في القطاع الخاص"، المديرية العامة للجوزات، وزارة الداخلية، 2017/7/6، شوهد في 2021/5/25، في: <https://bit.ly/3JwvIRO>

الملحق (3)

الجدول (1): عدد السكان والنمو ومتوسط معدلات النمو في السعودية في الفترة 2016-2021

المجموع	السكان غير السعوديين	السكان السعوديون	
31787580	11705998	20081582	الربع الثالث من عام 2016
34110821	12420173	21690648	منتصف عام 2021
2323241	714175	1609066	النمو
6.81	5.75	7.42	متوسط معدل النمو (في المئة)

الجدول (2): ارتفاع عمالة السعوديين مقابل غير السعوديين في الفترة 2016-2021 (في المئة)

البطالة عند السعوديين	العمالة غير السعودية	العمالة السعودية	
12.1	56.5	43.5	الربع الرابع من عام 2016
11	48.9	51.5	الربع الرابع من عام 2021

المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

Demographic Survey 2016 (Riyadh: General Authority for Statistics, 2016), accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/atCET>; "Labour Market 2016 Fourth Quarter, Main Data Indicators of the Labor Market," General Authority for Statistics (2016), accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/fxHTZ>; "Population Estimates in the Midyear of 2021," General Authority for Statistics, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/iqAY1>; "Labour Market 2021 fourth Quarter," General Authority for Statistics, accessed on 30/4/2024, at: <https://shorturl.at/fwxBF>

المراجع

العربية

الغبر، شفيق. النكبة ونشوء الشتات الفلسطيني في الكويت. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

الأجنبية

Ababsa, Myriam (ed.). *Atlas of Jordan: History, Territories and Society*. Beyrouth: Presses de l'Ifpo, 2013.

Abouraiia, Mahmoud Kamal. "Saudization Framework and Unemployment in Saudi Arabia: Antecedents and Consequences." *European Journal of Business and Management*. vol. 6, no. 17 (2014).

Al-Asfour, Ahmed & Sami A. Khan. "Workforce Localization in the Kingdom of Saudi Arabia: Issues and Challenges." *Human Resource Development International*. vol. 17, no. 2 (2014).

Ali, Ali. "Conceptualizing Displacement: The Importance of Coercion." *Journal of Ethnic and Migration Studies*. vol. 49, no. 5 (2023).

Al-Rasheed, Madawi. *A History of Saudi Arabia*. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

Assad, Soraya W. "The Rise of Consumerism in Saudi Arabian Society." *International Journal of Commerce and Management*. vol. 17, no 1-2 (Spring-Summer 2007).

Berry, John W. "Immigration, Acculturation, and Adaptation." *Applied Psychology*. vol. 46, no. 1 (January 1997).

Bhatia, Sunil & Anjali Ram. "Rethinking 'Acculturation' in Relation to Diasporic Cultures and Postcolonial Identities." *Human Development*. vol. 44, no. 1 (2001).

Brand, Laurie A. *Palestinians in the Arab World: Institution Building and the Search for State*. New York: Columbia University Press, 1988.

_____. "Palestinians and Jordanians: A Crisis of Identity." *Journal of Palestine Studies*. vol. 24, no. 4 (Summer 1995).

Brockett, Tom. "From 'In-betweenness' to 'Positioned Belongings': Second-Generation Palestinian-Americans Negotiate the Tensions of Assimilation and Transnationalism." *Ethnic and Racial Studies*. vol. 43, no. 16 (December 2020).

Chalcraft, John. "Monarchy, Migration and Hegemony in the Arabian Peninsula." *LSE Global Governance*. no. 12. Kuwait Programme on Development, Governance and

- Globalisation in the Gulf States. London School of Economics and Political Science (October 2010).
- Collins, Francis L. & Jørgen Carling. *Aspiration, Desire and the Drivers of Migration*. New York: Routledge, 2020.
- D'Silva, Margaret U. et al. "Reflexivity and Positionality in Researching African-American Communities: Lessons from the Field." *Intercultural Communication Studies*. vol. 25, no. 1 (2016).
- Darwich, May. "The Saudi Intervention in Yemen." *Insight Turkey*. vol. 20, no. 2 (Spring 2018).
- Davidson, Christopher M. "Expatriates and the Gulf Monarchies: Politics, Security and the Arab spring." *Asian Affairs*. vol. 45, no. 2 (2014).
- De Bel-Air, Françoise. "Demography, Migration and Labour Market in Saudi Arabia." *Explanatory Note*. no. 1. Gulf Research Center (2014). at: <https://shorturl.at/jLS34>
- El Masri, Yafa. "72 Years of Homemaking in Waiting Zones: Lebanon's 'Permanently Temporary' Palestinian Refugee Camps." *Frontiers in Sociology*. vol. 5 (2020).
- El-Abed, Oroub. *FMO Research Guide: Palestinian Refugees in Jordan*. Oxford: University of Oxford, 2004.
- _____. "Palestinian Refugees of Egypt: What Exit Options are Left for Them?" *Refuge: Canada's Journal on Refugees*. vol. 22, no. 2 (2005).
- Fabos, Anita Hausermann & Riina Isotalo (eds.). *Managing Muslim Mobilities: Between Spiritual Geographies and the Global Security Regime*. New York: Palgrave Macmillan, 2014.
- Fawadleh, Hadeel. "Migrations and Diaspora: The Experience of Palestinian Christians in Jordan and the United States of America." PhD Dissertation in Geography. Université d'Angers, 2017.
- Fiddian-Qasmiyeh, Elena. "On the Threshold of Statelessness: Palestinian Narratives of Loss and Erasure." *Ethnic and Racial Studies*. vol. 39, no. 2 (2016).
- Frisch, Hillel. "Ethnicity, Territorial Integrity, and Regional Order: Palestinian Identity in Jordan and Israel." *Journal of Peace Research*. vol. 34, no. 3 (August 1997).
- Halabi, Zeina. "Exclusion and Identity in Lebanon's Palestinian Refugee Camps: A Story of Sustained Conflict." *Environment & Urbanization*. vol. 16, no. 2 (October 2004).
- Hammer, Juliane. *Palestinians Born in Exile: Diaspora and the Search for a Homeland*. Austin, TX: University of Texas Press, 2005.
- Hegghammer, Thomas. "The Rise of Muslim Foreign Fighters: Islam and the Globalization of Jihad." *International Security*. vol. 35, no. 3 (Winter 2010).

- Holtzman, Wayne H. & Thomas H. Bornemann (eds.). *Mental Health of Immigrants and Refugees*. Austin, TX: Hogg Foundation for Mental Health, University of Texas, 1990.
- Hovdenak, Are et al. *Constructing Order: Palestinian Adaptations to Refugee Life*. Oslo: FAFO Institute for Applied Social Science, 1997.
- Jensen, Sune Qvotrup. "Othering, Identity Formation and Agency." *Qualitative Studies*. vol. 2, no. 2 (2011).
- Khalaf, Abdulhadi, Omar AlShehabi & Adam Hanieh (eds.). *Transit States: Labour, Migration and Citizenship in the Gulf*. London: Pluto Press, 2015.
- Khalidi, Rashid. *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness*. New York: Columbia University Press, 1997.
- Kingdom of Saudi Arabia, Bureau of Experts at the Council of Ministers. *Law of Saudi Arabian Nationality*. Riyadh: 2/9/1954. at: <https://bit.ly/3xWHcLA>
- Kitchin, Rob & Nigel Thrift (eds.). *International Encyclopedia of Human Geography*. Oxford: Elsevier Science, 2009.
- Labadi, Taher. "The Palestinian Diaspora and the State-Building Process." *Research*. Arab Reform Initiative. 5/12/2018. at: <https://shorturl.at/hlvEM>
- Lacroix, Stéphane. *Awakening Islam: The Politics of Religious Dissent in Contemporary Saudi Arabia*. George Holoch (trans.). Cambridge, MA: Harvard University Press, 2011.
- Le Troquer, Yann & Rozenn Hommery Al-Oudat. "From Kuwait to Jordan: The Palestinians' Third Exodus." *Journal of Palestine Studies*. vol. 28, no. 3 (Spring 1999).
- Lindholm, Helena. "Emotional Identity and Pragmatic Citizenship: Being Palestinian in Sweden." *Diaspora Studies*. vol. 13, no. 2 (November 2020).
- Loddo, Stephanie Anna. "Palestinian Perceptions of Home and Belonging in Britain: Negotiating between Rootedness and Mobility." *Identities*. vol. 24, no. 3 (2017).
- Manrai, Ajay K. & H. Lee Meadow (eds.). *Global Perspectives in Marketing for the 21st Century: Proceedings of the 1999 World Marketing Congress*. New York/ Dordrecht/ London: Springer, 2015.
- Massad, Joseph A. *Colonial Effects: The Making of National Identity in Jordan*. New York: Columbia University Press, 2001.
- Monawar, Abed. "Cultural Assimilation among Palestinian Immigrants in New Mexico." PhD Dissertation in Anthropology. Texas Tech University, 2006.
- Nassar, Issam. "Reflections on Writing the History of Palestinian Identity." *Palestine-Israel Journal*. vol. 8, no. 4 (2001).

- Peteet, Julie. "From Refugees to Minority: Palestinians in Post-War Lebanon." *Middle East Report*. no. 200. Middle East Research and Information Project (July-September 1996). at: <https://shorturl.at/pU469>
- Phinney, Jean S. et al. "Ethnic Identity, Immigration, and Wellbeing: An Interactional Perspective." *Journal of Social Issues*. vol. 57, no. 3 (Fall 2001).
- "Public Opinion Survey: Residents of Jordan, November 14-22, 2019." The International Republican Institute. at: <https://shorturl.at/ajqE5>
- Ramady, Mohamed A. *The Political Economy of Wasta: Use and Abuse of Social Capital Networking*. New York/ Dordrecht/ London: Springer, 2016.
- Rawabdeh, Mohammad et al. "The Extent of the Phenomenon of Wasta and Favoritism in the Jordanian Public Sector." Queen Rania Center for Jordanian Studies and Community Service. Yarmouk University (July 2020). at: <https://shorturl.at/hoqv7>
- Rothenberg, Celia E. "Ties that Bind: The Gulf Palestinian Community in Toronto." *Communal/ Plural*. vol. 8, no. 2 (2000).
- Said, Edward W. *Reflections on Exile and Other Essays*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2000.
- Sayigh, Rosemary. "Palestinians in Lebanon: Harsh Present, Uncertain Future." *Annals of Japan Association for Middle East Studies*. vol. 10, no. 1 (Autumn 1995).
- Schwartz, Seth J., Marilyn J. Montgomery & Ervin Briones. "The Role of Identity in Acculturation Among Immigrant People: Theoretical Propositions, Empirical Questions, and Applied Recommendations." *Human Development*. vol. 49, no. 1 (2006).
- Smith, Pamela Ann. "The Palestinian Diaspora, 1948-1985." *Journal of Palestine Studies*. vol. 15, no. 3 (Spring 1986).
- Suleiman, Jaber. *Marginalised Community: The Case of Palestinian Refugees in Lebanon*. Brighton: Development Research Centre on Migration, Globalisation and Poverty, University of Sussex, 2006.
- "Survey of Jordanian Public Opinion, May 22-25, 2017). *National Poll*. no. 15. The International Republican Institute. at: <https://shorturl.at/nyGLX>
- Temple, Bogusia & Alys Young. "Qualitative Research and Translation Dilemmas." *Qualitative Research*. vol. 4, no. 2 (August 2004).
- The Hashemite Kingdom of Jordan, Department of Statistics. "24.7% Unemployment Rate during the Fourth Quarter of 2020." 9/3/2021. at: <https://shorturl.at/fuTU9>
- United Nations High Commissioner for Refugees. *Submission by the United Nations High Commissioner for Refugees for the Office of the High Commissioner for Human*

Rights' Compilation Report—Universal Periodic Review: The Kingdom of Saudi Arabia (March 2013). at: <https://shorturl.at/gmoA5>

Wynbrandt, James. *A Brief History of Saudi Arabia*. 2nd ed. New York: Infobase Publishing, 2010.

Zaidan, Esmat. *Palestinian Diaspora in Transnational Worlds: Intergenerational Differences in Negotiating Identity, Belonging and Home*. The Forced Migration and Refugee Unit. Birzeit: The Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies, Birzeit University, 2012. at: <https://shorturl.at/exISY>